أخبار اليوم
قطاع الثقافة
مكتبة الشعراوى الإسلامية

الشيطان والإنسان

فضيلة الشيخ
محمد متولى الشعراوى

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر بعد تنقيتها خطوة على
طريق الهدى ونوراً ينير الطريق للأجيال
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي

الغلاف بريشة
الفنـان : سيد عبدالفتاح

الاخـراج الفنى
عبد الكريم محمود

الفصل الأول



من هو الشيطان ؟

من هو الشيطان ؟
سؤال طالما دار فى عقولنا . . دون ان نجد له جوابا . . إن الشيطان غيب عنا . . يرانا ولا نراه . . يهمس فى آذاننا ويوسوس لنا دون ان نعرف اين هو . . ولا ماذا يفعل . . ولذلك يبقى السؤال . . من هو الشيطان ؟

الله سبحانه وتعالى ـ رحمة منه بعقولنا ـ أعلمنا من هو الشيطان . . وماهى قصة عداوته للإنسان . . وكيف نشأت . . وكيف نواجهه ونتغلب عليه وعلى كل القوى الخفية والظاهرة فى الكون . .

الله تبارك وتعالى يأمرنا ان نستعيذ به . . ذلك لأن الله جل جلاله . . قاهر فوق كل خلقه . . المؤمن منهم والكافر . . والطائع منهم والعاصى ، والذى له اختيار ، والمقهور على الطاعة . . كل هؤلاء مقهورون لله سبحانه وتعالى . . فلا شيء فى كون الله يخرج عن امره . . ولاشيء فى كون الله يخرج عن مشيئته . . ولذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

(الآية ١٨ سورة الانعام)

الله سبحانه وتعالى . . لايخرج شيء فى كونه عن مراده الفعلى ، ولكن يخرج الذين اعطاهم الحق جل جلاله الاختيار عن مراده الشرعى . . أو منهجه فى إفعل ولا تفعل . . وهم يخرجون عن هذا المنهج باختيار الله سبحانه وتعالى . . لأنه

جل جلاله . . هو الذى خلقهم قادرين على الطاعة . . وقادرين على المعصية . . ولو أنه تبارك وتعالى . . أراد أن يخلقهم مقهورين على الطاعة لفعل . . وهذا المعنى تجده فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾

(الآيتان ٣ ، ٤ سورة الشعراء)

وهذه الآية خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . الذى كان يحز فى نفسه . . أن هناك من يرفضون الإيمان ، وكان هذا الحزن والأسى . . لأنه كان صلى الله عليه وسلم . . يعرف ماينتظرهم فى الآخرة . . من عذاب مهين خالد باق . . . . ولذلك ولأنه رحمة للعالمين.. كان يريد أن ينقذهم . . من المصير الذى ينتظرهم .

الله سبحانه وتعالى يخبره هنا بأن هؤلاء وإن خرجوا عن مراد الله الشرعى الذى أراده لهم بالإيمان به ، واتباع منهجه ، فإنهم لم يخرجوا عن مراد الله الفعلى . . لأن الله جل جلاله إن شاء جعلهم جميعا مقهورين على الطاعة . . ولكن الله سبحانه وتعالى . . أراد لهم أن يكونوا مختارين . . فى أن يؤمنوا أولا يؤمنوا . . يطيعوا أو يعصوا . . فأعطاهم الإختيار فى أن يفعلوا أو لايفعلوا . . هذا الاختيار نابع عن إرادة الله سبحانه وتعالى . . ولولا تلك الإرادة ماكان هؤلاء مختارين فى أن يطيعوا أو أن يعصوا . . إذن فلا شيء فى كون الله يخرج عن إرادة الله سبحانه وتعالى .



وصف الشيطان

اننا قبل أن نمضى . . لابد أن نبين الفرق بين وصف الشيطان . . وبين الشيطان نفسه . . الشيطان كوصف عام معناه كل من يبعد الناس عن طاعة الله وعن منطق الحق ، وكل من يغرى بالمعصية ، ويحاول أن يدفع الإنسان إلى الشر . . كل واحد من هؤلاء هو شيطان . .

ويجب أن نعلم ان هناك شياطين من الجن . . وشياطين من الانس . . يجمعهم وصف واحد ، كما يجمعهم الاتحاد فى المهمة التى هى نشر المعصية والافساد فى الأرض . . شياطين الجن هم العصاة من الجن الذين يصدون عن الحق ويدعون إلى الكفر ، وشياطين الإنس يقومون بنفس المهمة . .

إذن فاللفظ هنا وصف لمهمة معينة . . وليس إشارة إلى شخص باسمه ، فكل من دعا إلى الكفر والشرك والعصيان . . هو شيطان .

أما ابليس فهو ـ شيطان ـ من الجن . . وكانت له منزلة عالية . . حتى قيل انه كان يعيش مع الملائكة . . ابليس هذا هو خلق من خلق الله ، ولكنه يختلف عن الملائكة فى انه خلق مختارا . . وهو لايستطيع ان يتمرد على (أمر) الله وإن أُعْطىَ

حق الاختيار ، وانما يستطيع بما له من اختيار . . ان يتمرد على (الطاعة) لهذا كان خروج ابليس عن طاعة الله . . ليس تمردا على أمر الله . . ولكنه عدم طاعة الله بمشيئة الله سبحانه وتعالى التى شاءت أن يخلقه مختارا . . قادرا على الطاعة . . وقادرا على المعصية .

هذه المشيئة هى التى نفذ منها إبليس . . وينفذ منها كل عاص بعدم طاعة الله . . وهذه نقطة لابد ان نفهمها .. قبل أن نمضى فى الحديث عن الانسان والشيطان . . فلاشىء فى كون الله سبحانه وتعالى . . يتمرد على أمر الله ، ولكن الله خلق خلقا مقهورين على الطاعة (هم الملائكة) . وخلقا مختارين فى أن يطيعوا أو يعصوا (الانس والجن) ومن خلال هذه الارادة . إرادة الله سبحانه وتعالى فى أن يخلق خلقا قادرين على الطاعة ، وقادرين على المعصية . . جاءت المعصية على الأرض .

على ان هناك حديثا طويلا عن معصية ابليس . . بعضهم يقول كيف يحاسب إبليس لأنه رفض أن يسجد لغير الله ؟ . . والله أمر ابليس أن يسجد لآدم . . وإبليس رفض أن يسجد لغير الله .

الذين يشيعون هذا الكلام . . من الملحدين وغيرهم . . نقول لهم إنكم لم تفهموا معنى العبادة . . فالعبادة هى إطاعة المخلوق لأوامر خالقه . . ومن هنا فإننا عندما يقول الله سبحانه وتعالى لنا أن نصلى خمس مرات فى اليوم . . فالصلاة

هنا تكون عبادة وطاعة لله . . وكذلك الزكاة . . وكذلك الصوم . . وكذلك الحج . . وكذلك كل ما أمر الله به . . عبادة الله هى طاعته . . وعصيان أمر الله هو معصيته .

ونحن لانناقش الأمر مع الله سبحانه وتعالى . . وإنما نطيعه . فلا نقول مثلا لماذا نصلى خمس ركعات . . ولانصلى أربعا او ثلاثا او اثنتين . . لانرد أبد الأمر على الله . . ولكننا نطيع حتى ولو لم نعرف الحكمة . . حتى ولو لم ندرك السبب . . لأن العلة فى العبادة هى أنها من الآمر . . أى من الله سبحانه وتعالى .

مهمتنا أن نستوثق أن الأمر من الله . . ومادام الأمر من الله . . فالعلة فى تنفيذ الأمر . . أو السبب فى تنفيذه ان الله هو الذى قال . . أما غير ذلك فليس موضوعا للمناقشة .

ومهمة العقل البشرى هى الاستدلال على أن لهذا الكون إلها خلقه وأوجده . . وأن هذا الاله هو الذى خلقنا . . وخلق نظاما غاية فى الدقة والابداع . . وكونا غاية فى الاعجاز لايمكن أن يوجد إلا بخالق عظيم . .

فإذا وصلنا إلى هذه النقطة يكون هذا بداية الإيمان . . ولكن عقولنا القاصرة . . وقد وصلت إلى هذا الحد . . لايمكن أن تتجاوزه . . وهى لايمكن أن تعلم مثلا . . من هو هذا الخالق العظيم ؟ . . وما اسمه ؟ وماذا يريد منا ؟ . . ولماذا خلقنا ؟

وهنا يأتى دور الرسل ليكتمل كل شيء . . يرسل الله سبحانه وتعالى رسولا . . مؤيدا بمعجزة من السماء . . تخرق قوانين الكون . . ويقوم هذا الرسول بإبلاغ الناس . . بأن الله جل جلاله . . هو الذى خلق هذا الكون . . وهو الذى سخره لخدمة الإنسان . . حتى القوى العظيمة فى الكون . . التى تفوق قدرات الإنسان ملايين المرات . . كالشمس مثلا والبحار والنجوم وغير ذلك . . كل هذه القوى مسخرة لخدمة الإنسان .

لشمس تشرق كل صباح لاتستطيع ان تعصى . . ولا أن تقول لن أشرق اليوم . . والبحار يتبخر منها الماء الذى ينزل منه المطر . . فلا هى عصت يوما . . وقالت إن مياهى لن تتبخر . . ولا هى تستطيع أن تمنع تبخر مياهها . . ليمتنع المطر عن الأرض .

إذن مهمة الرسل . . هى إخبارنا بأن الله خلق كل هذا الوجود وسخره لنا . . وأنه يريد منا أن نعبده . . ونفعل كذا وكذا . .

أى أنهم يحملون الينا منهج عبادة الله . . والله سبحانه وتعالى يؤيدهم بمعجزات . . نعلم جميعا أنها فوق قدرات البشر . . كل البشر . . حتى نتأكد من أنهم فعلا رسل الله . وحتى لايأتى مدع او شيطان يدعى الرسالة ليضل الناس .

فإذا عرفنا مايريده الحق جل جلاله منا ، فإن علينا السمع

والطاعة . . والسمع والطاعة هنا سببها أن الأمر صادر من الله جل جلاله . . فهو بعلمه يعلم ونحن لانعلم . . وبحكمته يعرف صلاح كونه ، ونحن بحمقنا قد نفعل الشر ونظن أنه خير .

الله سبحانه بكل صفات كماله . . واجب العبادة . . والإنسان إذا ناقش . . فإن من البديهى أن يناقش مساويا له فى علمه . . فالطبيب يناقش طبيبا . . والمهندس يناقش مهندسا . . ولكن الطبيب لايناقش فى الطب نجارا مثلا أو سباكا . . فإذا كان النقاش ـ لكن يكون مجديا ـ يجب أن يتم بين متساويين ـ فمن منا يساوى الله جل جلاله فى علمه أو فى قدرته . . أو فى أى علم من العلوم حتى نناقشه فيما أمر أو نهى ؟! واقرأ قول الله عز وجل فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الاحزاب)

واقرأ قول الحق سبحانه :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

(الآية ٢٨٥ سورة البقرة)

بداية المعصية

إذن فعبادة الله هى طاعة أوامره .. ومخالفة أوامر الله هى المعصية وهى الفسوق .. وهى الطريق الى الكفر والعياذ بالله .. ومن هنا فإن العبادة هى إطاعة المخلوق لأوامر خالقه . وإبليس عصى أمر الله .. فلا تكون ذلك عبادة .. ولكنها معصية وكفر .

ويروى لنا الله سبحانه وتعالى .. فى القرآن الكريم بداية معصية ابليس .. فيقول جل جلاله :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(الآية ٣٤ سورة البقرة)

وكانت هذه هى بداية المعصية .. بداية كفر إبليس .. إنه رفض إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى .. ولم يسجد لآدم .. أنه لم يرفض السجود لغير الله .. ولكنه رفض السجود لأمر الله .. وهذا هو الفرق .. لأن رفض إطاعة أمر الله معصية وكفر .

ان البعض يثير .. أن الأمر هنا صدر للملائكة .. ولم

يصدر لإبليس . . فكيف يحاسب الله تبارك وتعالى ابليس على أمر لم يصدر إليه ؟

نقول إنه وإن كان ابليس من الجن . . إلا أنه رفض الأمر . . وفى ذلك يخبرنا الحق سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة الكهف)

وفى قوله تبارك وتعالى موجها حديثه إلى ابليس :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾

(الآية ١٢ سورة الاعراف)

وقوله سبحانه :

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾

(الآية ٧٥ سورة ص)

وهكذا نرى بنص القرآن الكريم . . أن الأمر قد صدر الى ابليس بالسجود ، وأن الأمر قد شمله ، وذلك حتى لايقال . . كيف يحاسب الله ابليس على أمر لم يشمله .



حقيقة إبليس

نأتى بعد ذلك لنكمل الحديث . . عن من هو ابليس . . إن ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة . . لأن الملائكة لايعصون الله . . ولأن الجن لهم اختيار كالانسان تماما .

إن بعض العلماء . . يقسمون الأجناس المختارة الى ثلاثة اقسام : الشياطين والجن والإنس . . ونقول لهم : إن هذا التقسيم غير صحيح . . لأن الجنسين المختارين من خلق الله . . هما الإنس والجن . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الرحمن :

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾

(الآية ٣١ سورة الرحمن)

وفى سورة الجن نقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

(الآيتان ١٤ و١٥ سورة الجن)

وهكذا نرى أن الجن منه من هو صالح ، ومن هو فاسق . . وأن فسقة الجن هم الشياطين . . أما مايقال عن أن

هناك جنسا ثالثا أو رابعا مما أخبرنا الله عنه . . فنقول لهم لا . . ليس هناك إلا الأنس والجن مختارين . . كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى . .

إذن إبليس من الجن . . عصى الله سبحانه وتعالى فى أمر السجود لآدم . . وفى ذلك نقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾

(الآية ٥٠ سورة الكهف)

وهكذا كانت معصية إبليس . . برفضه أمر الله سبحانه وتعالى فى السجود لآدم . . ولكن هل هذا الرفض من ابليس مجرد سهو أو خطأ ندم عليه ؟ . . أم كان رفضه استكبارا بالغرور الذى دخل نفسه ؟ . . والكبر الذى ملأ صدره ؟ .

لقد كانت معصية ابليس غرورا وكبرا وإصرارا على المعصية . . فهو ـ لكبره وغروره ـ رد الامر على الآمر . . وهو الله سبحانه وتعالى . . كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾

(من الآية ٦١ سورة الاسراء)

وقال كما يحكى القرآن :

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الأعراف)

فكأن إبليس رد الأمر ، على الله سبحانه وتعالى بقوله : كيف تريدنى أن أسجد لإنسان مخلوق من طين . . وأنا مخلوق من نار إنه يريد ان يبرر معصيته وفسوقه بأن النار عنصر أرقى من الطين . . لأن فيها شفافية . . والمخلوق من النار يمتاز عن المخلوق من الطين بأشياء كثيرة . . انه يمتاز عليه بسرعة الحركة وخفتها ، ويمتاز عليه بأنه لايُرى . . فالإنسان لايرى الجن . . ويمتاز عليه أيضا بأنه يستطيع أن يصعد إلى مسافات عالية . . وأنه يخترق الجدران . . ويدخل الأماكن المغلقة . . التى لايستطيع أن يدخلها الانسان .

لا أفضل لعنصر على آخر

إبليس أخذ من هذه العناصر ـ بكفره وغروره ـ حجة أنه هو الأعلى .. هكذا صور له غروره .. فاعتقد أنه هو الأفضل ، ونسى ان هذه الميزات كلها لم يحصل عليها بذاته ولابنفسه بل الله سبحانه وتعالى هو الذى وضع هذه الميزات فى المادة التى خلق منها الجن ، ولولا أن الحق سبحانه وتعالى أوجد هذه الميزات فى المخلوق من النار .. ماكانت قد وجدت .

إذن فالفضل فى ذلك ليس للعنصر الذى خلق منه ابليس ـ ولكن الفضل للذى أوجد هذه المواصفات فى عنصر النار .. وأن الله تبارك وتعالى .. إن شاء سلب النار كل هذه العناصر .. فيصبح إبليس أحط خلق الله .

وكانت هذه أولى درجات الغرور والكبرياء من إبليس . أنه نسب الفضل لذاته .. بأنه مخلوق من عنصر أعلى من الطين .. وهو النار .. تماما كما فعل قارون حينما قال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾

«من الآية ٧٨ سورة القصص»

فكان جزاؤه أن خسف الله به وبداره الأرض .

وتمادى إبليس فى معصيته كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

« الآية ١٦ سورة الأعراف »

وهنا لنا وقفة ثانية ـ فى قول ابليس كما روى لنا القرآن الكريم ـ « فبما أغويتنى » . . فكأن الغواية حدثت من الله سبحانه وتعالى . . فكيف يحاسب ابليس مع أن الله جل جلاله هو الذى أغواه ؟ .

نقول : إن إبليس استحق الغواية بماكسبت يداه ، لقد دخل الكبر إلى نفسه . . واعتقد أنه قد أخذ كل ما أخذه . . سواء من عناصر تكوينه أو على علم من ذاته ، فتركه الله سبحانه وتعالى لغروره . . فغوى . . فكأن البداية كانت من الشيطان . . فاستحق أن يتركه الله لنفسه ولغروره . . فوقع فى الكفر . . ذلك أن الحق جل جلاله ـ يقول لنا فى القرآن الكريم :

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

« من الآية ١٠٨ سورة المائدة »

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

« من الآية ٦٧ سورة المائدة »

وإبليس فسق وكفر . . فسق بأنه عصى أمر الله فى السجود ، والفسوق معناه البعد عن المنهج . . يقال فسقت

الرطبة عندما يصبح البلح رطبا . . البلح وهو أحمر تلتصق قشرته بالثمرة . . فلاتستطيع أن تنزعها . . فإذا أصبح رطبا ابتعدت القشرة عن الثمرة . . وأصبح من السهل نزعها . . وهنا يقال فسقت الرطبة أى انفصلت قشرتها عن ثمرتها . . والفسوق ابتعاد عن المنهج .. والله سبحانه وتعالى أبلغنا ان إبليس فسق وكفر . . فى قوله جل جلاله : « إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » .

والله تبارك وتعالى ترك إبليس لنفسه . . فغوى وسقط فى المعصية والكفر . . ذلك أن الله لايظلم أحدا . . ولكن الظلم يأتى من النفس . وعندما يظلم المخلوق نفسه . . ويتخذ طريق الكفر . . فإن الله يتركه للطريق الذى اختاره . . فما دام قد اختار الكفر . . فالله غنى عنه . . لأن الله غنى عن خلقه جميعا .

سقط فى الغواية

عندما سقط إبليس فى الغواية.. وعرف أنه بكفره قد طرد من رحمة الله . . وأصبح محكوما عليه بالعذاب الأبدى . . طلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة . . وألا يقبض روحه إلا ساعة أن ينفخ فى الصور . . وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

« الآية ٧٩ سورة ص »

ويلاحظ هنا ان إبليس استخدم كلمة ربى . . ولم يقل إلهى . . لأنه خاطب الله سبحانه وتعالى بأنه رب العالمين . . أى رب كل من خلق . . المؤمن منهم والكافر . .

إن الله سبحانه وتعالى له عطاءان . . عطاء ربوبية فى أنه رب للجميع . . هو الذى خلقهم واستدعاهم للوجود . . ولذلك فإنه يعطى عطاء ـ ربوبيته للمؤمن به والكافر والعياذ بالله . . وهذا عطاء فى الدنيا فقط . . يرزق المؤمن ويرزق الكافر . . ويد الله الممدوة بالاسباب فى الارض تعطى المؤمن وغير المؤمن . . فكل من أخذ بالأسباب اعطته الاسباب . . فالذى يحسن زراعة الارض بأحسن الوسائل ، تعطيه محصولا

وفيرا ، سواء كان مؤمنا أو كافرا . . والذى يأخذ بأسباب التقدم ـ ويدرس ويبحث . . تعطية الأسباب التقدم الذى عمل من أجله . . هذا فى الدنيا فقط .

أما عطاء الألوهية . . فهو لمن آمن بأن الله سبحانه وتعالى هو واحد أحد لاشريك له . . هذا هو عطاء الألوهية الذى يعطيه الله تبارك وتعالى للمؤمنين به فى الآخرة . . حيث تنتهى دنيا الأسباب . . ويصبح كل شىء من المسبب مباشرة . . من الله لعباده المؤمنين . . بمجرد أن يخطر الشىء على بالهم يجدونه أمامهم . . بلا أسباب وبلا عمل .

ان الشيطان . . هو كل من يدعو إلى البعد عن عبادة الله . . والبعد عن منطق الحق . . ويحض على المعصية مهما كان جنسه . . وان إبليس خلق من خلق الله . . تمرد على منهج الله . . بما أعطاه الله من حرية الاختيار فى أن يطيع أو يعصى ، وفى أنه رد الامر على الأمر وهو الله سبحانه وتعالى . . فكفر بذلك العصيان ، ثم تمادى فى الكفر . . وطلب من الله سبحانه وتعالى ان يبقيه حتى تقوم الساعة .

ولكن لماذا طلب إبليس هذا الطلب ؟ . . وما الذى كان يدور فى عقله بالنسبة للإنسان ؟

الفصل الثانى



معصية الشيطان

قبل انْ اذكر قصة عداء إبليس لآدم وذريته . . وكيف يوسوس لهم ويغريهم بالسوء . . لابد لنا من وقفة عند معصية « إبليس » . . تلك المعصية التى استحق عليها لعنة الله الى يوم القيامة .

إبليس عندما رفض طاعة أمر الله بالسجود لآدم . . لم يحاول التوبة أو الرجوع الى الحق . . لم يقل يارب إن قولك حق . . وأمرك حق . . ولكنى يارب لم أقدر على نفسى فسامحنى . . لم يفق لنفسه ويخر ساجدا . . بل إن الكبر كان قد ملأه . . فمضى فى المعصية . يقول الحق سبحانه كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

« الآية ١٢ سورة الاعراف »

وهكذا رد الأمر على الله سبحانه وتعالى . . وكأن الله جل جلاله قد غاب عنه انه خلق الجان من نار ، وخلق الانسان من طين . . وكان هذا كافيا لطرد إبليس من رحمة الله . . وطرده من المكان الذى كان يعيش فيه مع الملائكة . . وهنا قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾

« الآية ١٣ سورة الأعراف »

وقول الحق سبحانه وتعالى : « فاهبط منها » . . معناها ان إبليس . . كان فى مكان عال قبل المعصية .. فلا يكون الهبوط الا من مكان عال إلى مكان منخفض . .

بعض الناس يأخذ الهبوط على أساس أنه يعنى المسافة . . ولكن الهبوط قد يكون معنويا . . فالإنسان مثلا . . إذا كان رئيسا أو حاكما . . ثم أُقْصِىَ عن مكانه . . فقد هبطت منزلته . . رغم انه مازال يعيش فى البيت الذى عاش فيه . . أى أنه لم يهبط من أعلى الى اسفل من ناحية المسافة ، ولكن مكانه هبط . . وبعد ان كان مقامه عاليا . . أصبح لايساوى شيئا ولاقيمة له . .

ويمكن ان يكون الهبوط من ناحية القيمة . . أى أنك تؤمن . . ان انسانا ما ذو قيمة عالية . . تراه يحترم نفسه . . لايقول إلا الحق . . مهاب الجانب . . وفجأة يرتكب عملا شائنا . . يجعله يسقط فى نظرك . . فلا تحترمه ولاتقيم له وزنا .

إذن الهبوط ليس بالضرورة . . هبوطا ماديا فى المسافة . . ولكنه قد يكون هبوطا فى القيمة ، فى المكانة ، ولذلك فإن ابليس ليس من الضرورى أنه كان يعيش فى الجنة وهبط منها كما يقول بعض المفسرين . . أو أنه كان يعيش فى مكان عال من السماء . . بل من الممكن ان يكون نزولا معنويا . . بحيث أصبح لايساوى شيئا .

الله سبحانه وتعالى . . حين قال له : « فاهبط منها » . . اعطانا سبب هذا الهبوط فى قوله تعالى : « فما يكون لك أن تتكبر فيها » . . أى ان السبب هو ان ابليس قد ملأه الكبر والغرور . . والله سبحانه وتعالى لايحب المتكبرين . . وكل من يأخذه الكبر . . ويعتقد انه بذاته ونفسه يستطيع ان يحقق شيئا بعيدا عن قدرة الله سبحانه وتعالى . . يناله غضب شديد من الله . . لماذا ؟

لأن الفعل فى هذا الكون كله لله جل جلاله . . فلا احد يملك قدرات الفعل إلا الله . . فلكل فعل ظرف زمان ، وظرف مكان لابد ان يقع فيهما . . وانت لاتملك الزمان ولاالمكان ، فلا احد يملك القدرة ليبقى حياته ولو دقيقة واحدة . . ولا أحد يملك القوة ليتحرك من مكان الى آخر . . الا باذن الله وأمره . . وقد يأتيه الأجل قبل ان يتحرك . . وقد يأتيه المرض ليشل قدرته عن الحركة . . فكيف يتكبر الانسان . . أو أى مخلوق من مخلوقات الله وهو لاحول له ولاقوة إلا بأمر الله .

الله سبحانه وتعالى طرد إبليس من المكان أو المقام الذى كان فيه . . لأنه تكبر واغتر . . واعتقد انه يملك القوة الذاتية والقدرة الذاتية . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : « فاخرج

إنك من الصاغرين » . . اى أنه إذا كان لك كبر أو قوة أو ذاتية . . فابق فى مكانك . . ولكنك ستخرج وأنت صاغر . . ستخرج رغما عن أنفك . . لاتستطيع المكابرة . . ولايمكنك ان تدعى ان لك قوة تحميك . . أو تجعلك تستطيع ان تخالف أمر الله ، بل ستخرج ذليلا صاغرا مهينا .

عندما أدرك ابليس ان الكبر الذى ملأ نفسه هو كبر زائف . . وأنه فى الحقيقة لايساوى شيئا فى ذاته . . امتلأ قلبه بالحقد على آدم . . لأنه اعتقد أنه السبب فى كل ماحدث له . . فى طرده وفى هبوطه إلى أسفل السافلين . . وفى غضب الله سبحانه وتعالى عليه . . والحقد الذى ملأ قلب ابليس . . دفعه الى محاولة الانتقام من آدم وذريته . . فكما قاده عدم اطاعة امر الله بالسجود لآدم الى النار . . يريد هو ان يقود آدم وذريته الى النار . . ثأرا منهم لما حدث له . . وكما طرد أبليس من رحمة الله . . فإنه يريد ان يطرد آدم وذريته من رحمة الله . . انه يريد الانتقام من آدم . . لأنه كان السبب فى كل ماحدث . . من لعن وطرد لإبليس وكل من تبعه ، انه لايريد ان يدخل الى النار وحده ! وانما يريد ان يحشد فيها من يستطيع اغواءه من الناس .

ولذلك عندما خرج ابليس . . صاغرا ذليلا . . من المقام الذى كان فيه . . توجه الى الحق سبحانه وتعالى كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

« الاية ١٤ سورة الاعراف »

هكذا عاد إبليس الى المذلة .. يطلب من الله سبحانه وتعالى .. ان يبقيه حيا الى يوم القيامة .. وقد كان يملؤه الكبر .. ولو أن كبره كان حقيقة وليس زيفا .. ولو انه كانت له اى قوة ذاتية .. لما طلب الى الله سبحانه وتعالى ان يبقيه الى يوم القيامة .. ولأبقى نفسه .. ولكن لأنه لاحول له ولا قوة إلا ماشاء له الله .. فإنه اتجه الى الله سبحانه وتعالى ليبقيه حيا الى يوم القيامة .

ولكن لماذا استجاب الله تبارك وتعالى لدعاء ابليس .. وكان من الممكن أن يهلكه فى التو واللحظة ؟ . لماذا قال الله جل جلاله :

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾

«الآيتان ٣٧ ، ٣٨ سورة الحجر»

لقد استجاب الله دعاءه ـ وهو المطرود من رحمته ـ لأن حكمة خلق الدنيا .. لاتكتمل الا بهذا .. فالله سبحانه وتعالى .. خلق الدنيا كدار اختيار .. وجعل الآخرة دار الجزاء .. والله جل جلاله يريد ان يمر عبده باختبار فى الحياة الدنيا .. ان يُمْتَحنْ قبل ان يُجَازى .. ان يكون شهيدا على نفسه يوم القيامة فيما فعل .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

« الاية ١٤٣ سورة آل عمران »

وقوله جل جلاله :

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾
(من الآية ١٥٤ سورة آل عمران)

ولو أراد الله سبحانه وتعالى خلقا مقهورين على الطاعة كالملائكة .. لاستطاع ان يخلقهم .. ولو أراد الحق سبحانه وتعالى .. ان يطيع اهل الأرض جميعا منهج الله .. وان يكونوا جميعهم مسبحين وعابدين لاستطاع ان يفعل ذلك .. ولكن الله جل جلاله اختار اجناسا تأتيه عن قهر كالملائكة وغيرها من خلق الله .. واختار الأنس والجن دون غيرهم من الأجناس ليأتوه عن حب ورغبة .. يكونون قادرين على المعصية .. ولكنهم لايفعلونها حبا لله ، ويكونون قادرين على عدم الطاعة .. ولكنهم يطيعون قربا لله .. انه سبحانه وتعالى يريد خلقا يأتيه عن حب .. فى فترة اختبار محدودة بعمر كل انسان .

اننا بعد حلول الاجل سنكون مقهورين لإرادة الله سبحانه وتعالى .. ذلك ان الانسان وهو يحتضر تنتهى إرادته البشرية تماما .. ولاتصبح له إرادة حتى على جسده .. لأن الإرادة كانت فى الدنيا .. أما ساعة الموت .. وفى حياة البرزخ .. بين الموت والبعث .. ويوم القيامة ، فلا توجد إرادة لأحد .. فالكافر يقاد الى النار .. ويحاول ان يوقف قدمه عن السير فلا تقف ، ويحاول ان يدفع النار بيديه فلا تندفع ، ويحاول ان يهرب من الوقوف امام الله ، ومن العذاب .. فلا يستطيع .. كل ماكان له فى الدنيا .. من حول وقوة قد انتهى .

الدنيا دار اختبار

والحياة الدنيا ـ لكى يكون فيها اختبار ـ لابد أن يكون فيها إغواء وغواية . . ومن هنا كان ابقاء الحق سبحانه وتعالى لحياة الشيطان جزءا من الإغواء . . الذى سيتعرض له الانسان فى حياته الدنيا . . اختبار من الله لحبه فى قلوب عباده . . فمن احب الله . . وقاه الحق سبحانه وتعالى من إغواء الشيطان ، ومن احب المعصية والكفر والعياذ بالله . . سلط الله تبارك وتعالى عليه الشياطين . . لتزيده معصية وكفرا . .

واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا
فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾

« الايتان ٨٣ و ٨٤ سورة مريم »

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى . . يجعل الانسان مع من احب . . فإن احب الله تبارك وتعالى . . كان مع الله . . فوقاه السوء وأبعد عنه الشياطين . . وحفظه من الشر ، وفتح أمامه أبواب الخير . . وإن كان يحب الشيطان . . تركه للشياطين التى هى عدو له . . تقوده الى المعصية . . وتجعل حياته شقاء مستديما ويزداد إثما على آثامه ، ثم لايأخذ معه شيئا الا ذنوبه . .

وحتى تكتمل تجربة الحياة على الأرض .. كان وجود الاغراء من الشيطان ضروريا .. وحتى يختبر الله عباده .. اختبارا إيمانيا حقيقيا ، ويمحص مافى قلوبهم ، كان لابد من تجربة واقعية يمر بها الانسان فى حياته .. وليست تجربة نظرية .. لأن الكلام النظرى شىء ، والواقع شىء آخر .. فقد تقول سأفعل كذا وكذا .. وعندما يأتى وقت الفعل قد لاتفعل .

والانسان حين حمل الأمانة .. وعد أنه سيؤديها حق أدائها .. وعندما جاء وقت الأداء .. أخذته الدنيا بإغوائها واغرائها .. فاتبع الشيطان .. ونسى عهده لله .. ونسى منهج الله .

فلا يظن احد ان الله سبحانه وتعالى .. قد اجاب دعوة للشيطان .. ولكنه جل جلاله .. بما أعد للدنيا من منهج .. وبما أعده لحياة الإنسان من ابتلاءات واختبارات .. أراد ان تتم الصورة كلها ..

إذن فالإجابة كانت لمراد الله سبحانه .. وليست استجابة لدعاء الشيطان أن يبقى الى يوم البعث ولايقبضه إليه قبل ذلك اليوم .. ليظل الاغواء فى الدنيا حتى آخر لحظة .. والابتلاء للانسان مستمر الى يوم القيامة .

عندما قضى الله سبحانه وتعالى .. لأبليس ان يبقى الى يوم القيامة .. عاد الغرور الى نفسه مرة اخرى .. وأحس ان هذه هى فرصته .. لينتقم من آدم وذريته .. وقال الحق جل جلاله كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

(الآية ١٦ سورة الاعراف)

كيف دخل الشيطان الى باب غواية الانسان ؟ . . وبماذا دخل ؟ . . اذا قرأت الآية الكريمة التى تحكى مقالة الشيطان لله عز وجل :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

«الآية ٨٢ سورة ص»

تعرف كيف دخل الشيطان . . الى غواية الانسان ؟ . . دخل من باب عزة الله سبحانه وتعالى . . وبأن الحق جل جلاله عزيز . . لايحتاج لأحد من خلقه . . اى ان ابليس قال يارب لو انك اردتهم طائعين . . مااستطعت ان أغوى واحدا منهم . . ولكنك لأنك عزيز عن كل خلقك . . لاتزيد طاعتهم فى ملكك شيئا . . ولاتنقص معصيتهم فى ملكك شيئا ، فإننى بعزتك سأقوم بغوايتهم جميعا . . سأزين لهم المعصية . . سأقعد لهم على كل صراط مستقيم ، أما الطرق غير المستقيمة فلا حاجة للشيطان ان يقعد عليها . . انه لايجلس ـ مثلا ـ على ابواب اماكن تناول الخمر . . ولا على أبواب الأماكن التى تتم فيها الفاحشة ـ فإن هؤلاء الناس الذى يرتادون هذه الاماكن قد اصبحوا جنودا للشيطان ـ ليسوا محتاجين الى اغواء . . ولا الى وسوسة .

على ابواب المساجد

ان الشيطان يجلس على ابواب المساجد . . واماكن العبادة والذكر . . يحاول ان يغرى الناس على عدم الصلاة . . فاذا أذن للصلاة . . فانه يحاول ان يغرى الانسان بأى شيء حتى لايذهب اليها . . فيذكره بما نسى من اشياء دنيوية . . ويوسوس له . . ويخوفه بأنه إذا ذهب الى الصلاة ربما فاته بيع أو شراء أو مال أو مصلحة ، وان العمل عبادة وأنه وأنه الى ان يصرفه عن الذكر وعن الصلاة .

هناك قصة تُرْوَى عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه . . وكان مشهورا بالفتوى فى أمور الدين . . فجاءه رجل وقال : ضاعت منى نقودى . . فقد دفنتها فى مكان من الأرض ونزل السيل فأخفى مكان النقود . . وأزال الحجر الذى وضعته علامة على المكان . . ولا ادرى ماذا افعل ؟ . . فقال الأمام ابو حنيفة : وبماذا أفتيك فى هذا الأمر ؟ . . ولكن الرجل ألح . . فقال له الأمام ابو حنيفة : اذهب الليلة بعد صلاة العشاء . . وقف أمام ربك متهجدا الى ان يطلع الفجر . . وقل لى ماذا سوف يحدث . . .

وعندما جاءت صلاة الفجر . . جاء الرجل متهللا . . وقال لقد وجدت مالى . . فسأله ابو حنيفة كيف ؟ . . قال الرجل . . ماكدت اقف للصلاة حتى تذكرت أين مكان

النقود . . ومتى نزل السيل وكيف سار . . وهكذا قست المسافة وقدرتها . . فعرفت موقع النقود . . فضحك الامام ابو حنيفة رضى الله عنه وقال : والله لقد علمت ان الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك .

وهكذا عندما عرف الشيطان . . ان هذا الرجل سيقوم ليلته مع الله . . اسرع اليه ليرشده عن مكان المال . . حتى يمنعه من الاستمرار فى الصلاة . . ومن الاستمرار فى ذكر الله . . وهذا هو احد معانى ماجاء فى القرآن الكريم :

« قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم »

وهذا ماسنتعرض له فى الفصل القادم ان شاء الله عندما نتحدث عنه بالتفصيل عن طرق إغواء الشيطان للإنسان وانه يقعد للإنسان فى المساجد وأماكن العبادة . . ليلهيه ويمنعه عن ذكر الله . . وعن اقامة الصلاة .

ثم نمضى فيما يرويه القرآن الكريم :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾

«الآية ١٧ سورة الاعراف»

اننا اذا تدبرنا هذه الآية الكريمة نجد ان الشيطان . . قد حدد أربع جهات يأتى منها الى الإنسان . . اليمين واليسار والأمام والخلف . . والمعروف ان الجهات هى ست . . اليمين واليسار والأمام والخلف . . وأعلى وأسفل . . فلماذا يأتى الشيطان للانسان من كل الجهات وترك الأعلى والأسفل ؟!

ونجيب على ذلك بأن الأعلى هو مكان صعود الدعاء . . وصعود الأعمال الصالحة لله سبحانه وتعالى . . والأسفل هو مكان السجود والخضوع لله جل جلاله . . وكلاهما لايستطيع الشيطان الاقتراب منه ، فمكان السجود لله والخضوع له لايقربه الشيطان . . وكذلك مكان صعود الدعاء والعمل الصالح . . فهذان المكانان مباركان لكل مؤمن ، تحفهما الملائكة ولاتقربهما الشياطين .

لكن لابد لنا ان نقف . . عند قول الحق تبارك وتعالى : « ولاتجد أكثرهم شاكرين » . .

من الذى أنبأ الشيطان وعرفه ان اكثر الناس لن يكونوا شاكرين لله على نعمه وفضله . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

«من الآية ٢٤٣ سورة البقرة»

هل أوتى الشيطان من علم الغيب . . ماجعله يعرف ان اكثر الناس لن يكونوا شاكرين . . ام انه كان واثقا من نفسه وثوقا جعله يقول هذا الكلام . .

فالشيطان لايعرف الغيب . . ولم يؤت هذا العلم حتى يقول ان اكثر عبادك لن يكونوا شاكرين . . كما انه لم يكن لديه من العلم مايجعله جازما وواثقا من أن ذلك سيحدث نتيجة اغوائه للانسان . .

ان القرآن الكريم يكشف لنا كيف قال الشيطان هذا الكلام .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الآية ٢٠ سورة سبأ)

إذن فقد كان ماقاله ابليس ظنا فقط . . فلم يكن يعلم غيبا . . ولايدرى ماسيحدث فى المستقبل . . وجاء حكم الحق سبحانه وتعالى على ابليس ومن تبعوه : كما يقول رب العزة فى كتابه الكريم : .

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

«الآية ١٨ سورة الاعراف»

وهكذا طُرِد إبليس . . من رحمة الله ومن الجنة . . ومن اى مكان فيه قرب من الله . . واصبح مذموما ملعونا . . ليس هو فقط . . ولكن هو وكل من تبعه من الجن والانس . . مصيرهم جميعا هو الخلود فى النار . . فالله عز وجل . . اعد لكل عبد من عباده . . من الإنس والجن . . مكانا فى الجنة ومكانا فى النار . . حتى اذا عصى الخلق جميعا وسعتهم النار . . وان اطاع الخلق جميعا سعتهم الجنة . . ويوم القيامة فإن اصحابَ الجنة يرثون ـ فوق ما أعده الله لهم من الجنة ـ الأماكن المخصصة . . لمن قَضى الله سبحانه وتعالى عليه بالعذاب فى جهنم يوم القيامة والعياذ بالله بعد ذلك .

لقد اراد الله سبحانه وتعالى بعد أن انظر ابليس الى يوم القيامة ان يحصن آدم ويعرفه التجربة التى هو مقدم عليها . . ويبين له كيف ان الشيطان عدو له . . وكيف انه سيغريه على المعصية . . وكيف انه سيعده كذبا . . ولن يحقق وعده . . وأراد الحق تبارك وتعالى . . ان يتم ذلك بتجربة عملية يمر بها آدم وحواء . . حتى اذا نزلا الى الارض . . كانت هذه التجربة وقاية لهما من إغواء الشيطان . . فقال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

«الآية ١٩ سورة الاعراف»

وهكذا أعد الله تبارك وتعالى . . مكان التجربة لآدم وحواء . . فى جنة فيها كل اسباب الحياة . . بلا تعب ولاجهد . . وفر لهما الطعام من ثمار مختلفة . . ووفر لهما الشراب . . وفتح لهما من النعم كل مايشتهيانه . . وأباح لهما كل ثمر الجنة . ماعدا شجرة واحدة . . طلب منهما ألا يقتربا منها . .

انها حياة مريحة مليئة بالنعم.المباح فيها كثير ، والممنوع منها أقل القليل . . شجرة واحدة هى الممنوعة . . وحذرهما الله سبحانه وتعالى . . من ان الشيطان عدو لهما . . وطلب منهما الا يستمعا الى مايقوله لهما . . لأنه يريد بهما السوء . . ولايريد لهما الخير . . فما الذى حدث ؟

انه رغم كل هذا التحذير . . ورغم ان المباح كثير والممنوع

هو شجرة واحدة . . فإن الشيطان استطاع باغوائه ان يوقع آدم وحواء فى المعصية .

بعض المفسرين يقولون . . ان حواء هى التى وقعت فى المعصية اولا . . ثم أوقعت آدم . . وأنها هى السبب فى خروج آدم من الجنة . . فهل هذا صحيح ؟ . وهل حواء هى التى تحمل المعصية الأولى فى خروج آدم من الجنة . . ام ان هذا غير صحيح . . وماهى الحقيقة ؟ . وماذا حدث ؟

وقبل ان نجيب على هذه الاسئلة . . نجمل ماقلناه فى هذا الفصل من أن الكبر قد ملأ ابليس . . فجعله يغتر بنفسه . . ويرد الأمر على الله سبحانه وتعالى . . ويقول خلقتنى من نار وخلقته من طين . . يريد ان يبدل أمر الله . . فلعنه الله وطرده من رحمته . . وجعله من اهل النار هو وكل من اتبعه . . ولكن إبليس اتخذ مدخلا ليغوى آدم وذريته . . وهذا المدخل هو ان الله تبارك وتعالى عزيز غنى عن خلقه جميعا . . لايضره من ضل . . ولاينفعه من آمن .

من هذا المدخل دخل ابليس الى غواية بنى آدم . . والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار اختبار . . ولذلك كان لابد من الغواية . . ليعلم الله الصادقين فى إيمانهم . . (علم شهادة) ليكونوا شهداء على انفسهم يوم القيامة .

لقد شاءت اراد الله أن يدخل آدم فى تجربة عملية فى إغواء الشيطان . . ليحذره ويعلمه مما سيلاقيه فى الحياة الدنيا .

فكيف تمت هذه التجربة ؟

الفصل الثالث



آدم والشيطان

طرد الله سبحانه وتعالى الشيطان ، وأخرجه مما كان فيه . . والخروج هو مجاوزة المكان أو مغادرته . . والشيطان خرج مطرودا وملعونا ومذموما . . والله سبحانه وتعالى وعد كل من اتبع الشيطان بالعذاب فى النار .

ان الله جل جلاله قد أعد فى الجنة ـ كما قلنا ـ أماكن لكل خلقه . . من خلق آدم إلى قيام الساعة . . وأعد فى النار أماكن لكل خلقه . . من آدم إلى قيام الساعة . . فلو أطاع كل الخلق لوسعهم نعيم الله فى الجنة ، ولو عضى كل الخلق لنالهم عذاب الله فى النار .

ولقد شاء الله ان يقوم آدم وحواء بتجربة عملية على كيفية مواجهاتهما وذريتهما وسوسة الشيطان . . وذلك حتى يكونوا محصنين منها . . ويعرفوا أن الشيطان كاذب فيما يَعِدُ . . وأن الشيطان لا يأتى منه إلا الشر والضرر وزوال النعمة .

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

« الآية ١٩ سورة الاعراف »

ومن هذه الآية الكريمة . . نعرف أن آدم وحواء سكنا

الجنة . . وكثير من العلماء قالوا . . ان المقصود بالجنة فى الآية الكريمة هى جنة الخلد فى الآخره . . مما دفع المستشرقين وغيرهم أن يتساءلوا : كيف يمكن أن يدخل إبليس جنة الطائعين لله ليوسوس لآدم وحواء ويغريهما بالمعصية ؟! كيف يمكن لإبليس . . وهو عاص ومطرود من رحمة الله . . ومحكوم عليه بالعذاب فى النار . . أن يدخل جنة الخلد ؟

ثم كيف يمكن لآدم وحواء . . أن يدخلا جنة الخلد ثم يخرجا منها ؟ . . مع أن الله سبحانه وتعالى قد كتب أن كل من يدخل الجنة يبقى خالدا فيها ؟

نقول لهؤلاء جميعا . . إنكم لم تفهموا مدلول كلمة (جنة) فى القرآن الكريم . . ان هناك شيئا فى اللغة العربية يسمى غلبة الاستعمال . . ذلك أن اللفظ يكون له معان متعددة . . ولكنه يؤخذ عادة على معنى واحد . . إذا قاله الانسان . . إنصرف الذهن إلى هذا المعنى بالذات . . من هنا فإننا عندما نسمع كلمة (جنة) . . ينصرف ذهننا إلى جنة الآخرة . . لأنها هى الجنة الحقيقية . . ولكن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة جنة فى القرآن الكريم فى معان متعددة . . الجنة فى اللغة معناها الستر . . ولذلك فهى تطلق على المكان الذى فيه أشجار غزيره ومتنوعة . . بحيث إذا مشى الإنسان فيه . . سترته هذه الأشجار بأغصانها المتشابكة عمن هم خارج هذه الجنة فلا يرونهم . .. وفى نفس الوقت . . فهو يجد فيها أسباب معيشته كاملة . . ولذلك فهو لا يحتاج إلى الخروج منها . . هذا هو المعنى اللغوى للجنة .

فاذا بحثنا فى القرآن الكريم . . وجدنا آن القرآن استخدم كلمة الجنة فى اكثر من معنى . . استخدمها بمعناها اللغوى (بمعنى الستر) وفى معناها الدينى . . (جنة الآخره) وفى ذلك نجد آيات كثيرة بهذين المعنيين كقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾

« الآية ٣٢ سورة الكهف »

وقوله جل جلاله :

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

« من الآية ٢٦٦ سورة البقرة »

وقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

« الآية ١٥ سورة سبأ »

كل هذه الآيات الكريمة .. استخدم فيها الحق سبحانه وتعالى .. كلمة جنة وهو يعنى جنة فى الدنيا ..

ولقد قال بعض العلماء .. إن الله تبارك وتعالى .. قد فرق بين جنات الدنيا وجنة الآخره .. فلفظ (الجنة) يطلق على جنة الآخرة وحدها .. ولفظ (جنة) من غير الألف واللام .. يطلق على جنات الدنيا .. ولكن هذا الكلام غير صحيح .. بدليل اقتران الالف واللام بجنة الدنيا ، كما جاء فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾

« الآيتان ١٧ و ١٨ سورة القلم »

والحديث هنا فى هاتين الآيتين .. عن جنة أو حديقة من حدائق الدنيا .. إذن فالألف واللام .. لا يميزان لفظ جنة .. بحيث يصبح المعنى هو جنة الآخره .. ولابد أن نقف هنا قليلا .. عند بعض الأقوال التى تدعى أن آدم وحواء كانا يعيشان فى جنة الخلد .. وعندما عصيا الله طردهما من الجنة .. وأنزلهما ليعيشا فى شقاء على الأرض ..

نقول ان هذا الكلام غير صحيح فى اطلاقه .. وذلك أن الله سبحانه وتعالى .. قبل أن يخلق آدم حدد مهمته فى هذه الحياة . واقرأ قوله جل جلاله :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

« من الآية ٣٠ سورة البقرة »

إذن قبل أن يتم خلق آدم . . كانت الغاية من خلقه أنه سيعيش فى الأرض ويعمرها .

والنقطة الثانية هى أنه لو أن آدم قد طرد من الجنة لأنه عصى . . فما ذنبنا نحن حتى نرث المعصية ونرث الشقاء . . إن هذا يتنافى مع عدل الله تبارك وتعالى فى قوله :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(من الآية ١٨ سورة فاطر)

إن كل إنسان يحاسب عما فعله فقط . . ولا يحاسب عما فعله أبواه . . أو جداه أو أولاده . . لأن الانسان لا يحمل الا حسناته أو معاصيه . . ومن هنا لا يمكن أن يكون آدم قد عاش فى جنة الخلد . . ثم طرد منها لأنه قد عصى . . وتحملنا نحن نتيجة المعصية . . وورثناها وعذبنا بها بأن طردنا من الجنة ، لأنه لو لم يعص آدم لعشنا نحن فى الجنة . . نقول لهؤلاء ان هذا يتنافى مع عدل الله الذى يأبى أن تورث المعصية .

ولكن لماذا جعل الله سبحانه وتعالى اقامة آدم وحواء بعد خلقهما فى جنة ؟

نقول إن لذلك حكمة . . فآدم خلق ليتلقى المنهج من الله . . فى افعل ولا تفعل . . وهذا المنهج فيه صلاح الحياة على الأرض . . فما قال عنه الله سبحانه وتعالى إفعل . . إن لم تفعله فسدت الأرض ، وما قال عنه لا تفعل . . إن فعلته فسدت الأرض . .

إن الله تبارك وتعالى . . وضع آدم وحواء فى هذه الجنة ليأخذا تجربة عملية عن تطبيق منهج الله . . وليأخذا تحذيرا عمليا . . عن مهمة الشيطان فى إفساد منهج الله . . لأن مهمة الشيطان أن يدفع آدم وذريته ليفعلا مانهاهما الله ألا يفعلاه . . وألا يفعلا ما أمرهما الله جل جلاله بفعله . . فإن قال الله لهما لا تشربا الخمر . . سيزين الشيطان لهما شرب الخمر ، وإن قال الله لهما أقيما الصلاة . . زين الله لهما ترك الصلاة . . وهكذا .

لقد كانت التجربة بسيطة فى أدائها . . عظيمة فى مدلولها . . كانت تدريبا عمليا لآدم عليه السلام . . على ما سيحدث له إذا أطاع الله . . وعلى ما سيحدث له إذا أطاع الشيطان . . وهكذا جاء الله سبحانه وتعالى بآدم . . ووفر له كل مقومات الحياة فى مكان أسماه الجنة . . فقال جل جلاله لآدم :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

« الآية ١٩ سورة الأعراف »

أول مناهج السماء



الحق سبحانه وتعالى بين لآدم الميزات .. التى سيحصل عليها فى هذا المكان الذى سيقيم فيه .. فقال جل جلاله :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

« الآيتان ١١٨ ، ١١٩ سورة طه »

أى فى هذه الجنة طعام يكفيك وكساء يسترك .. وماء تجده دائما فلا يصيبك الظمأ .. وليس فيها تعب .. ثمار هذه الجنة مباح لك .. بل كل ما فيها مباح لك .. ماعدا شجرة واحدة لا تقترب منها .. ولا تأكل من ثمارها .

إن هذا هو منهج الله فى الأرض .. إنه جل جلاله يبيح لنا الكثير جدا .. ويحرم علينا أقل القليل .. وحذر الله سبحانه وتعالى آدم وحواء .. من عدوهما أبليس .. فقال تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾

« الآية ١١٧ سورة طه »

وكان هذا التحذير كافيا .. ليتنبه إلى عداوة إبليس .. فلا يستمع إلى وسوسته .. ولا يصدق أكاذيبه ..

لقد وفر الحق جل جلاله لآدم كل مقومات الحياة من غذاء . . يعطيه ما يحتاجه جسده بدون فضلات . . فالله سبحانه وتعالى يغذى الجنين فى بطن أمه بالقدر الذى ينميه . . ولا تخرج منه فضلات . . لأن الغذاء على قدر النمو . . وكان غذاء آدم فى الجنة على قدر نموه . .

ويجب ان نتنبه إلى أن الجنة التى عاش فيها آدم . . ليست هى جنة الخلد . . لأن الحياة فى جنة الخلد لا تأتى الا بعد الحياة الدنيا . . فهى جزاء لاتباع منهج الله فى الدنيا . . وأنها ليست سابقة للحياة الدنيا . . ولكنها لاحقة لها وتأتى بعدها .

إذن فالجنة التى عاش فيها آدم . . هى مكان فيه كل ما تحتاجه حياته وما تتطلبه . . ولابد أن نلاحظ . . أن الله سبحانه وتعالى . . قال لآدم وحواء : « ولا تقربا هذه الشجرة » . . ولم يقل لهما ولا تأكلا من هذه الشجرة . . لماذا ؟ . . لأن الله يريد أن يحمى آدم وذريته من إغراء المعصية . . فلو أنه جل جلاله قال لا تأكلا . . لكان قد أباح لآدم وحواء ان يقتربا من الشجرة . . ويجلسا إلى جوارها . . ويتأملا ثمارها . . وحينئذ كان يغريهما شكل الثمار . . أو لونها أو رائحتها فيأكلان منها . .

لكن الحق تبارك وتعالى ـ أراد أن يحمى آدم من نفسه . . ومن الإغراء الذى يمكن أن يتعرض له . . وقد لاتقوى نفسه عليه . . هذه الحماية التى أراد الله أن يوفرها لآدم وذريته من بعده . . هى الحماية الحقيقية من الوقوع فى المعصية . . لأنك

إذا اقتربت من شيء حرمه الله . . تميل نفسك اليه . . وربما دفعك هذا القرب الى اقترافه.

ونلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى . . يطلب منا الا نقترب من قمم المعاصى فيقول :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾

« الآية ٣٠ سورة الحج »

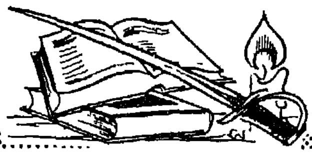
ولم يقل تبارك وتعالى . . لا تعبدوا الأوثان . . فلو قالها لكان مباحا لنا أن نذهب إلى الأماكن . . التى تعبد فيها الأصنام وأن نجلس فيها . . فإذا فعلنا ذلك . . ربما أوقعنا هذا الجلوس والعياذ بالله فى عبادة الاصنام . . وكذلك اقرأ قول الحق جل جلاله

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾

« من الآية ٩٠ سورة المائدة »

أى لا تقربوا أماكنه . . والغريب أنك تجد بعض الناس يحاول أن يجادلك فى أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم الخمر . . . ويقول لك ائتنى بآية من القرآن الكريم يقول فيها الله تبارك وتعالى حرمت عليكم الخمر .

ونقول لأمثال هؤلاء المشككين : إن الأمر الذى ورد بالاجتناب أقوى من التحريم .. فلو أن الله جل جلاله قال .. حرمت عليكم الخمر .. لكان المحرم فقط هو شرب الخمر .. وكنا فى هذه الحالة نصنعها ونتاجر فيها .. ونعد الأماكن التى يتم فيها تناولها .. ونخدم شاربيها ونجلس معهم .. فمادمنا لا نشرب الخمر .. ومادام قد نزل فيها أمر تحريم فقط .. فلنا أن نفعل كل هذا .. ولكن الاجتناب حرم أن نقترب أساسا من الأماكن التى يتناول فيها الخمر .. أو نصنعها أو نتاجر فيها أو نجالس الذين يشربونها .. فالاجتناب أقوى من التحريم .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى طلب من آدم وزوجته الا يقتربا من الشجرة المحرمة .. وإلا يكونان قد ظلما نفسيهما .



بداية المعصية

ماذا فعل الشيطان ؟ . . انه يريد أن يوقع آدم وحواء فى المعصية . . فماذا فعل ؟ . . يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾

« من الآية ٢٠ سورة الاعراف »

قول الحق سبحانه وتعالى : « وسوس » . . تدل على أن الحديث دار همسا بصوت خافت . . والوسوسة هى إغواء الشيطان . . وهى اغراء بارتكاب الشر ، والذى يتحدث ويأمر بالخير لا يهمه أن يكون حديثه بصوت عال . . ولكن الحديث فى الشر والغواية لايتم الا همسا بصوت خافت .

والوسوسة فى اللغة العربية . . هى صوت رنين الذهب والحلى . . وهو صوت يجذب الناس ويغريهم ويلفت نظرهم ، والوسوسة لابد أن يكون فيها إغراء . . لأنك إذا أردت أن تُخرِجَ الناس عن منهج الله لابد أن تغريهم بمتعة دنيوية سيفوزون بها .

اننا لابدأن نتوقف عند قوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان » . . لأن الشائع أن الشيطان أغوى حواء . . وأن حواء هى التى أغوت آدم . . وزينت له المعصية حتى أكل من الشجرة . . وأنه لولا حواء لبقى آدم فى الجنة !

نقول إن الله سبحانه وتعالى .. برأ حواء من هذه الغرية .. فقوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان » دليل على أن الشيطان .. هو الذى زين المعصية لآدم كما زينها لحواء .. أى أن الشيطان هو الذى قام بإغواء آدم وحواء .. ولم تقم حواء بإغواء آدم على المعصية .. والغواية جاءت من الشيطان للإثنين معا ..

ولكن ما هدف الشيطان من هذه الوسوسة ؟.. هدفه أن يعصى آدم وحواء ربهما .. فيعاقبا كما عوقب الشيطان بالطرد من رحمة الله .. والعقوبة هنا هى أن تظهر سوءات آدم وحواء .. والسوءة هى ما يسوؤك النظر اليه .. أو هى العورة .. لأن الفطرة تجعل الإنسان يخجل من أن يظهر عورته على الناس .

وقبل أن يأكل آدم وحواء من الشجرة لم ير أحدهما عورة الآخر .. ولا عورة نفسه .. فلا آدم رأى عورته ولا عورة حواء .. وكذلك حواء لم تر عورتها ولا عورة آدم .. كلاهما ستره الله عن الآخر .

لقد اتعب العلماء أنفسهم .. فى كيف كانت عورتا آدم وحواء مستورتين عنهما .. قال بعضهم كان عليهما اللباس .. وقال آخرون ان أظافر آدم وحواء كانت طويلة .. حتى كانت تصل الى قدميهما .. وكانت هى التى تستر العورة .. ثم زالت هذه الأظافر بالمعصية ..

ولكن ذلك لا يجب أن يشغلنا .. فالله سبحانه وتعالى ..

كان يستر عورتى آدم وحواء . . بما شاء من أنواع الستر . . بنور قوى من عنده . . فالنور اذا كان قويا فلا تستطيع أن ترى الأشياء من خلاله . . فإن النور فى ضعفه نميز به الأشياء . . وفى قوته يخفيها عنا . . وسواء ستر الله سبحانه وتعالى عورتى آدم وحواء بثوب أو بأظافر . . أو بنور من عنده . . فالمهم أن هذه العورات كانت مستورة عن أعينهما .

وظهرت عورة الإنسان



والسؤال لماذا نستاء عندما تظهر عوراتنا ؟ . . إن العورات هى مكان خروج فضلات الطعام والشراب . . إننا نحرص على كشف أماكن دخول الطعام والشراب كالفم مثلا . . ونحرص حرصا شديدا فى نفس الوقت . . على عدم إظهار اماكن خروج فضلات الطعام والشراب . .

يقول بعض العلماء فى تعليل ذلك : إن العورة تذكرنا بمعصية الله . . فعندما حدثت المعصية ظهرت العورة . . ولذلك فنحن نريد أن نسترها . . لأنها رمز للمعصية . . والمعصية عورة يحاول الإنسان دائما أن يخفيها ويخجل منها . . يحرص ألا يراه الناس ، والرجل مع زوجه يحرص على أن لا يراه أحد . . ويحتاط لذلك أشد الاحتياط . . الانسان عندما يكون معه مال حلال . . يخرجه أمام كل الناس . . ولا يخشى شيئا . . والانسان ومعه مال مسروق يحاول أن يخفيه عن الدنيا كلها . . فالمعصية فى كل أحوالها عورة يحرص الناس على إخفائها وسترها .

ولكن كيف تم إغواء الشيطان لآدم وحواء ؟ . . كيف أوقعهما فى المعصية .

إقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾

(من الاية ٢٠ سورة الاعراف)

جاء الشيطان لهما من جهة ما تريده النفس البشرية وتتمناه . . وهو حياة خالدة لا تنتهى ولا تزول . . وملك دائم لاينفد . . ولذلك فإن الشيطان حين أراد أن يغرى آدم وحواء بأن يأكلا من الشجرة قال لآدم كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾

(من الاية ١٢٠ سورة طه)

والشيطان كاذب فيما يقول . . فلو كانت هذه شجرة الخلد فعلا لأكل منها الشيطان نفسه وأصبح خالدا لا يموت . . ولكنه طلب من الله أن يبقيه إلى يوم القيامة . . لأنه يعلم يقينا أن الله هو خالق الحياة . . وأنه وحده هو الذى يبقيها أو يذهبها . .

ولابد أن نتنبه الى طريقه إغواء الشيطان . . إنه يحاول إغواء الانسان . . بأن منهج الله سبحانه وتعالى يضره ولا ينفعه . . وأن النفع الحقيقى هو فى المعصية . . لهذا قال لآدم وحواء . . ان الله منعهما من الأكل من هذه الشجرة . . حتى لايكون لهما الملك والخلود . . والانسان يكره الفقر ويكره الموت . . ويريد أن يبقى خالدا . . ولذلك جاء لهما الشيطان

ليقول لهما : اذا أردتما الخلد والملك . . فأمامكما هذه الشجرة . . وحلف لهما كما يروى القرآن الكريم :

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾

(من الآية ٢١ سورة الاعراف)

أى أقسم لهما أنه يريد لهما النصح . . وصدقا القسم . . صدقا الشيطان فى أنه يريد لهما الخير . . ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى . . آدم وحواء بأنهما صدقا قَسَم ابليس . . مع أنه جل جلاله قد بين لهما أن إبليس عدولهما لا يريد لهما الخير . . وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

ولكن آدم وحواء هما اللذان أحسا بالندم الشديد . . ما كانا يعتقدان أن خلقا من خلق الله يقسم بالله على باطل . . ولذلك قال قتاده رضى الله عنه . . المؤمن بالله يخدع . . أى اذا دخلت على مؤمن بالله سهل لك خداعه .

وكان سيدنا عبدالله بن عمر . . عندما يحسن أحد عبيده الصلاة يعتقه . . فكان العبيد اذا رأوه بدأوا يصلون بخشوع . . فقال له الناس : ان العبيد يخدعونك لتعتقهم . . فقال لهم عبدالله بن عمر . . من خدعنا بالله انخدعنا له .

الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا
وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

لفظ دل مأخوذ من دلى حبل الدلو فى البئر ليبحث عن الماء . . والغرور هو الإغراء الذى يوقع الانسان فى المخالفة .

وهنا لنا وقفة . . لا يظن أحد أن ابليس أوقع آدم وحواء . . فى المعصية على مرحلة واحدة . . بل سبق ذلك مراحل . . فإبليس خدعهما أولا ليقتربا من الشجرة ، ثم زين لهما ثمارها وحلاوتها ولونها ورائحتها ، ثم بعد ذلك أغراهما بالأكل ! أى أن المعصية تمت على مراحل ولم تتم دفعة واحدة . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تعرض الفتن على القلوب عودا عودا كالحصير) . . لذلك لابد أن نتنبه . . أن الاقتراب من المعصية يوقعنا فيها .

ماذا حدث ؟ . . هل كرر آدم وحواء المعصية . . وأكلا مرات ومرات من الشجرة ؟ . . الحق تبارك وتعالى يقول : « فلما ذاقا الشجرة » . . أى بمجرد التذوق . . ولم يكن هناك أصرار على تكرار المعصية . . إنه بمجرد التذوق ظهرت لهما عوراتهما . . فقاما بإخفائها أو مداراتها . . بورق اشجار الجنة . . ومعنى ذلك انهما احتاجا . . الى أكثر من ورقة ليداريا العوره . .

وهنا نرى عدل الله سبحانه وتعالى فى أنه حذرهما أولا من

المخالفة . . وابلغهما بالجزاء أو العقاب . . حتى يكون العقاب عدلا وحقا . . ولذلك فإن التشريع الالهى لا يوجد فيه ما يسمى بالقوانين بأثر رجعى . . فلا تجريم فى العدل الالهى إلا بنص . . والنص هو نهى الله لآدم وحواء . . أن يقربا هذه الشجرة . . وأن الشيطان عدو لهما . . وقول الحق « ألم أنهكما عن تلك الشجرة » بصيغة الاستفهام . . معناه أنه لا يوجد الا جواب واحد . . نعم يارب نهيتنا .

لقد كان الهدف من هذه التجربة العملية من الله سبحانه وتعالى . . ليحصن آدم وحواء وذريتهما من الشيطان . . فيعرفا أنه كاذب فى كل ما يَعِدُ به . . وأنه يريد بهما السوء . . ولو تظاهر بأنه يريد لهما الخير . . وأن مهمة الشيطان أن يستخدم كل الحيل . . لاغراء آدم وذريته على المعصية . . وأن يستخدم كل الحيل لإيقاع آدم وذريته فيما نهى الله عنه .

ولكن هل انتهت المعركة ؟ . . إنها لم تنته . . ولكنها استمرت وستستمر الى ان تقوم الساعة .

الفصل الرابع



معصية آدم ..
ومعصية ابليس

إنتهينا فى الفصل السابق إلى أن إبليس قد دخل إلى غواية آدم من جهة أن الله عزيز غنى مستغن بذاته عن كل خلقه .. إن الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى فى هذا المعنى :

(ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا .. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

إذن فمن باب عزة الله .. دخل الشيطان إلى غواية آدم .. واستطاع إبليس أن يقنع آدم أن الله قد منعه من الأكل من الشجرة لأنه لايريد له الخير .. وذلك حتى نفطن .. الى طريق ابليس فى الغواية .. فلا خير فى خير يؤدى إلى النار والمعصية .. ولاشر فى شر يؤدى إلى الجنة وطاعة الله .

ان الشيطان يحاول أن يصور الشر للإنسان بأنه خير .. ولذلك صور لآدم أن المعصية خير .. فلما أكل آدم من الشجرة .. وارتكب المعصية هرب إبليس !

والسؤال الذى يدور هنا .. لماذا غفر الله سبحانه وتعالى لآدم خطيئته ولم يغفر لابليس معصيته ؟ .. لقد عصى آدم ، وعصى إبليس .. الأول تاب الله عليه وتقبل توبته .. والثانى لعنه وجعله خالدا فى النار .. ماهو الفرق بين المعصيتين ؟

نقول : إن آدم وحواء حين عصيا الله سبحانه وتعالى . . لم يصرا على المعصية . . ولم يحاولا رد الأمر على الآمر . . انهما لم يقولا يارب إن حكمك ليس حقا كما فعل الشيطان حين قال : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » . . لم يفعلا ذلك ولكنها اعترفا بذنبهما . . وطلبا المغفرة والرحمة من الله . . وفى ذلك يقول الحق، سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

«الآية ٢٣ سورة الأعراف»

تلك هى الكلمات التى قالها آدم وحواء بعد المعصية . . قالا : يارب ان قولك حق وحكمك حق . . ولكننا لم نستطع أن نحمل نفسينا الضعيفتين على إتباع المنهج . . فظلمنا أنفسنا . . أى أننا مشينا بها فى طريق الهلاك . . ونحن نطلب منك المغفرة والرحمة . . فإن لم تعطهما لنا نكن من الخاسرين الذين خسروا انفسهم يوم القيامة .

وهكذا طلب آدم وحواء من الله ان يتوب عليهما . . وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

«الآية ٣٧ سورة البقرة»

والتوبة تمت على ثلاث مراحل . . المرحلة الأولى : أنه تعالى شرع التوبة لعباده . . المرحلة الثانية : أنهم عندما تابوا قبلها منهم . . والمرحلة الثالثة : من التوبة تكون بعدم عودتهم

إلى المعصية . . بعض الناس لايستوعب . . قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

«من الآية ١١٨ سورة التوبة»

وبعض الناس يتساءل : إذا كان الله قد تاب عليهم فلماذا وجبت عليهم التوبة ؟ نقول إن تشريع الله سبحانه وتعالى للتوبة لابد أن يحدث قبل التوبة . . فقوله : « تاب عليهم » . . أى شرع لهم التوبة . .

قال لهم اذا فعلتم ذنبا أو معصية فتوبوا . . ومادام الله جل جلاله قد طلب منهم أن يتوبوا فإنهم يتوجهون إليه بالتوبة فيقبلها الله منهم .

وتشريع التوبة ليس رحمة بالعاصى وحده . . ولكن بالمجتمع كله . . ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو لم يفتح باب التوبة . . لازداد كل من يرتكب معصية فى معاصيه . . فمادامت لاتوجد توبة . . ومادامت المعصية تؤدى إلى الخلود فى جهنم . . فكل من ارتكب معصية واحدة . . يملأ حياته بالمعاصى . . فمادام لا أمل له فى الجنة . . فليأخذ نصيبه من الدنيا . . وبهذا يشقى المجتمع كله . . لأن كل عاص سيزداد معصية .

وانتشار المعصية لايعانى منها فرد . . بل يعانى منها المجتمع . . ولكن الله تبارك وتعالى ـ بتشريعه التوبة ـ قد رحم المجتمع من انتشار المعاصى . . فالمعصية الأولى لاتؤدى إلى الخلود فى النار إذا تاب الإنسان عنها ورجع إلى الله . . ولذلك فإن الإنسان لايتمادى فى المعصية . . بل يذهب إلى جانب الخير . . فيتوب الى الله . . ويكثر من عمل الخير فيغفر له

ذنبه . . وبذلك يبقى الأمل فى جنة الله . . وتبقى الرغبة فى الخير . . فينصلح المجتمع ويملأه الخير . . فالتوبة رحمة للمجتمع .

إبليس تأبى على أوامر الله . . وزاد ذلك بأنه سيغوى الإنسان على المعصية . . فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ
وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾

«الآيتان ١٦ - ١٧ سورة الأعراف»

إن إبليس لم يعترف بمعصيته . . بل اصر عليها . . وقال سأفعل كذا وكذا وكذا فى اصرار على المعصية . . أما آدم وحواء فقد اعترفا بذنبيهما وهذه نقطة هامة . . لابد ان نلتفت اليها . . ليتنبه الناس الذين يقدمون على المعصية . . ألا يبرروها برد الأمر على الله . . كأن يقولوا تغيرت الظروف . . أو الوقت قد تغير . .

مثلا الذين يتعاملون بالفائدة الثابتة مع البنوك . . وهذه فيها شبهة ربا . . نقول لهم لاتقولوا ان الربا ليس حراما . . وأن الفائدة الثابتة نظام عالمى . . وأن الدنيا كلها تتعامل بها . . وأن الزمن قد تغير . . إلى آخر مانسمعه فى هذه الأيام . . انكم بقولكم هذا تخرجون أنفسكم من نطاق رحمة الله . . إلى نطاق الطرد من رحمته سبحانه وتعالى .

ولكن قولوا يارب . . لم نقدر على أنفسنا . . فاغفر لنا وارحمنا ، وفى هذه الحالة تكون قد اتهمت نفسك بالضعف والغفلة والظلم . . وأبقيت نفسك فى نطاق الإيمان ، ولكن أن

ترد الحكم على الله . . وتقول إن الربا ليس حراما . . تكون قد خرجت من الإيمان . . الى الكفر والعياذ بالله .

فإذا ارتكب إنسان معصية فلا يحاول ان يبرر ارتكابها أو يدافع عنها . . ويدعى انها حلال . . ولايقول إن الظروف قد تغيرت . . وكان الواجب أن يتغير الحكم . . فإن ذلك فيه رد لأمر الله يخرج الانسان من الايمان الى الكفر . . ومن الرحمة الى اللعنة . . وهذا هو الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس . .

إبليس عصى وتكبر . . وآدم عصى ، ولكنه اعترف بذنبه . . وحينما اعترف آدم وحواء بذنبيهما علمهما طريق التوبة . . ولولا أن الله جل جلاله علمهما . . لما عرفا كيف يتوبان . . فالتوبة تمت بايحاء من الله سبحانه وتعالى .

وإذا تدبرنا قول الحق جل وعلا . . نرى أن الحق تبارك وتعالى قال : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » نلاحظ هنا انهما تحدثا بصيغة الجمع . انهما لم يقولا ربنا ظلمنا نفسينا . . لأن الخطاب لايشمل آدم وحواء فقط بل يشمل ذرية آدم المطمورة فى ظهره . . حينئذ قال الحق جل جلاله لهما :

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

«الآيه ٢٤ سوره الاعراف»

انه يجب أن نتنبه . . إلى الآيات التى تروى لنا عملية الهبوط . . فمرة يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾

«من الآية ١٢٣ سورة طه»

(ومرة يقول جل جلاله :)

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾

«من الآية ٣٨ سورة البقرة»

المخاطبون هم آدم وحواء وإبليس . . والعداوة هنا مسبقة بين الإنسان والشيطان . . ولكن قوله تعالى : « اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو » تبين لنا أن العداوة بين طرفين . . آدم وحواء طرف . . وإبليس طرف آخر ، فكأنهما فريقان : آدم وحواء وذريتهما ، وإبليس وذريته . . فلا تعارض .

ويجب علينا أن نفهم . . أن استخدام الحق لعبارة بعضكم لبعض عدو . . أنه سيكون هناك صراع وعداء بين ذرية آدم وذرية إبليس . . وأن هذا الصراع مستمر بعمر الدنيا فقط ولايمتد إلى الآخرة . . ولكنه بالنسبة للشيطان والانسان . . صراع مستمر بعمر كل منهما فى الدنيا . . وليس بعمر الدنيا كلها . . فإذا مات الشيطان . . أو مات الانسان انتهى الصراع بالنسبة لهما ، وعمر الجن اكبر كثيرا من عمر الانسان . . واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى فى حق الجن :

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

«الآية ٣٠ سورة الاحقاف»

فكأن هؤلاء الجن . . عاشوا عصر موسى عليه السلام . . وظلوا أحياء حتى نزل القرآن الكريم . . اى مايقرب من ثلاثة آلاف سنة . . ولايوجد من البشر من عاصر موسى . . وعاصر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

صراع فى الدنيا

إن الصراع بين الشيطان والإنسان - كما قلنا - فترته محدودة بحياة الاثنين . . ولايمتد بعد الموت . . ولايكون فى الآخرة . .

الحق سبحانه وتعالى . . يتوجه بعد ذلك بالنصح . . إلى اولاد آدم ليحصنهم من الشيطان . . فيقول جل جلاله :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾

«من الآية ٢٦ سورة الأعراف»

والخطاب هنا موجه . . إلى كل نفس من أولاد آدم لأن كل نفس من أولاد آدم . . لها معركة وعداوة مع ذرية إبليس . .

الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أنه أنزل لنا من السماء منهجا . . يستر عوراتنا . . ويداريها . . والانزال يقتضى أن يهبط الشيء من علو . . وكل خير من الأرض هبط من السماء . . واللباس يصنع مما تنتجه الأرض . . وما تنتجه الأرض لايكون إلا بالمطر الذى ينزل من السماء . .

ويجب أن نعلم أن الله تبارك وتعالى أنزل المنهج ليستر عورات البشر ، وعورات المجتمعات ، إننا اذا أقمنا المنهج ، فلن تظهر فينا عورات ولا سيئات . . ولأصبح المجتمع متجانسا مترابطا . . فكأن الذى أنزله الله من السماء من مطر

يعطينا من الارض الثوب الذى يدارى عوراتنا الحسية ، ولباسا من القيم يدارى عوراتنا المعنوية . . بل واكثر من ذلك . . أعطانا الزينة من ريش الطير وغيره كنوع من الرفاهية والمتعة .

فكأن الحق سبحانه وتعالى أعطانا ترف الحياة . . وجعله حلالا لنا . . وأعطانا المنهج ليستر عوراتنا المعنوية . . فإذا كان اللباس المادى . . يدارى عورة الجسد فى الحياة الدنيا . . فإن لباس التقوى يدارى عوراتنا من فضوح الآخرة . . ولباس التقوى . . أى الذى نتقى به غضب الله سبحانه وتعالى . . هو خير من اللباس المادى . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى عنه :

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

«من الآية ٢٦ سورة الأعراف»

إذن فلباس التقوى - الذى هو خير من لباس الدنيا لأنه يقينا غضب الله جل جلاله - هو آية من آيات الله . . لنعرف أننا مكونون من مادة وقيم . . وكما للمادة عورات مادية تظهر إذا نزعنا ثيابنا . . فللقيم أيضا عورات تظهر لعدم التقوى .

ثم يأتينا التحذير من الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾

«من الآية ٢٧ سورة الأعراف»

الله سبحانه وتعالى . . يحذرنا من فتنة الشيطان . . والفتنة هى الاختبار . . فإذا نجحنا فى الاختبار فلن يحدث الفساد ،

ولكنه يحدث إذا سقطنا فى الفتنة . . والفتنة ليست شرا ولا خيرا . . بل هى اختبار يأتى لك بالخير ان نجحت ، أو بالشر إن سقطت فيه .

وهكذا جاء التحذير من الشيطان بتجربة عملية لآدم وحواء قبل أن ينزلا الى الأرض . . وهى تجربة التكليف فى افعل ولا تفعل . . وكانت التجربة كما فى التكليف . . فيها أمر وفيها نهى . . الأمر أن آدم له أن يأكل من كل مافى الجنة التى كان يعيش فيها ، والنهى انه لايقرب شجرة واحدة ، فى هذه الجنة . .

لقد افهم الله تبارك وتعالى آدم أن الشيطان عدو له ، وأنه سيوقعه فى المعصية . . ولكن رغم هذا التحذير . . أكل آدم وحواء من الشجرة فظهرت عوراتها . . وذلك حتى نعرف أن أى طاعة للشيطان . . لايأتى منها الخير أبدا .

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نعلم أن آدم فيه عنصران . . عنصر البشرية التى تصيب وتخطىء ، وتعصى وتتوب ، وعنصر النبوة المعصومة من الخطأ . ولذلك يجب ان نفطن الى النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾

«من الآية ١٢١ سورة طه»

وهذه طبيعة البشر . . وقوله جل جلاله :

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

«من الآية ١٢٢ سورة طه»

وهذا الهدى الذى سيأتى به الانبياء من ذرية آدم . . ولذلك لايجب أن نقول كيف عصى آدم ربه وهو نبى ؟ لأن معصية آدم

حدثت قبل النبوة . .

وبعد المعصية جاءت النبوة وجاء الهدى . . إذن فالبشرية تنقسم الى قسمين . . أنبياء يبلغون للناس المنهج عن الله . . وهؤلاء معصومون من الخطأ . . وقسم يبلغهم الله منهجه . . فيطيعون ويعصون ويتوبون . ولايقول أحد أو يدعى أن آدم نزل إلى الأرض بسبب المعصية . . لأن الله خلقه وذريته للحياة فى الأرض ونهاهم وحذرهم من فتنة الشيطان . . فى قوله تعالى : « يابنى آدم لايفتننكم الشيطان » . . هذا التحذير للبشر وليس للشيطان . . فالله جل جلاله لم يقل للشيطان . . لاتفتن بنى آدم . . ولو قال له ذلك لخرج الشيطان عن مهمته فى الحياة . . ولأصبحت الحياة ليست دار اختبار كما أرادها الله سبحانه وتعالى . . تؤدى بخلقه المختارين إما إلى الجنة . . وإما إلى النار والعياذ بالله .

ولذلك فإن فتنة الشيطان . . هى من تمام ما أراده الله الحياة الدنيا . . لكن بعض الناس يتساءل عن قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

«الآية ١٣٢ سورة البقرة»

والنهى هنا للبشر . . والسؤال : هل يملك الناس اختيارا فى الموت ؟ هل يستطيعون ان يحددوا وقته وزمانه ومكانه . . فلا يموتون الا وهم مسلمون ؟

نقول ان الحق تبارك وتعالى يريد أن يلفتنا الى ان الموت يأتى بغته وفى أى لحظة .. فكونوا على الاسلام دائما .. حتى لايفاجئكم الموت .. الا وأنتم مسلمون ..

إن الله سبحانه وتعالى .. يريدنا أن نعرف أن فتنة الشيطان .. تخرجنا من جنة التكليف التى تقودنا إلى جنة الخلود فى الآخرة .. ثمْ يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

«من الآية ٢٧ سورة الأعراف»

أى أن الشيطان يرانا ونحن لانراه .. وهذا يعطيه قدرة على الاغواء .. لأننا مادمنا لانراه .. فاننا لانستطيع أن نعرف الجهة التى سيأتى منها .. أو أن نتنبه الى انه يوسوس لنا .

ولكن هل تركنا الحق تبارك وتعالى للشيطان يغرينا ويغوينا ؟.. أم أنه أوجد لنا الوقاية ؟

الحق جل جلاله شاء عدله .. ان يوجد لنا الوقاية من هذه الوسوسة .. ومَن كل هذا الشر .. الوقاية لا تكون الا بالتمسك بمنهج الله .. والذى يتمسك بمنهج الله ويخلص له .. لايستطيع الشيطان أن يصل اليه أبدا .. ولا أن يغويه . ولذلكِ نجد فى الآية الكريمة :

فبِعِزتكِ لَأغوِيَنهمَ أجمعين إِلا عبادَكَ منهم المخْلَصِين » .. اعتراف من الشيطان بأنه لايستطيع أن يقترب ممن يتمسك بالله وبمنهجه لأنه فى منعة منه لتمسكه بمنهج الله .

وهنا يأتى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾

«الآية ٤٢ سورة الحجر»

لقد كفل الحق تبارك وتعالى الحماية لكل عبد اخلص فى ايمانه بالله . . وأخلص فى عبادته . . ولذلك فإن المؤمنين يحفظهم الله جل جلاله من غواية الشيطان . . وفى ذلك يقول الحق سبحانه فى وصف المؤمنين :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

«الآية ٢٠١ سورة الأعراف»

معنى هذا أن الشيطان إذا مس عباد الله المؤمنين فإن الله لايتركهم ، وانما يذكرهم بمنهجه . . وحينئذ يبصرون الحق ، فيعودون إلى اتباع المنهج . . فكأن الذى يتبع الشيطان مثل الأعمى . . الذى لايرى شيئا فيتخبط فى السير ويتعثر ويقع . . والشيطان يحاول أن يعمى الأبصار . . حتى لاترى الحقيقة . . ولاترى آيات الله فى كونه ولاتبصر شيئا .

إن الحق تبارك وتعالى يعطينا هذه الصورة وهو يصف لنا اتباع الشيطان فى الاخرة فى قوله سبحانه :

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾

«الآيتان ١٢٥ و١٢٦ سورة طه»

أى أن مهمة الشيطان . . أن يعمي الانسان عن آيات الله فى الكون . . فلا يرى عظمة الخلق . . ولايرى قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى . . وعدم رؤيته لهذه الآيات . . ينسيه عبوديته لله . . ويجعله يأخذ الدنيا على انها غاية وليست وسيلة للآخره . . ولذلك فهو يحاول أن يأخذ منها كل مايستطيع حلالا أو حراما . . لأنه مادامت لاتوجد بالنسبة له الا

الدنيا . . فمهمته أن ينتزع منها كل ماتعطى بطريق مشروع أو غير مشروع . . والمهم عنده ومقياسه فى النجاح . . هو مايحققه من شهوات ونزوات . . وسرقات ورشوة الى غير ذلك . .

هذا الصنف من الناس عندما يأتى فى الآخرة يبعثه الله أعمى لايرى شيئا . . يتخبط ويتعثر . . فاذا سأل عن سبب هذا العمى وقد كان مبصرا فى الدنيا . . فيقول له الله . . لقد كنت أعمى فى الدنيا . . حقيقة كانت لك عينان ولكنك لم تكن تبصر بهما آيات الله فى كونه ، لهذا انطلقت تعصى وتكفر . . فكما نسيت آيات الله فى الدنيا . . ينساك الله سبحانه وتعالى فى الآخره أى لاتنالك رحمته فى هذا اليوم . . ولذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾

«الآية ٧٢ سورة الاسراء»

والعمى هنا ليس معناه فقد البصر . . ولكن معناه فقد البصيرة التى يرى بها الانسان آيات الله التى تدفعه الى الايمان . . والى طاعة المنهج . .

ومن رحمة الله انه سبحانه وتعالى فضح لنا أساليب الشيطان . . وكيف يغوى الانسان . . وأبان لنا الطريقة التى يدخل بها إلى النفس البشرية ؟ والوسيلة التى يوقع بها الانسان فى المعصية ؟ لقد وضح لنا هذا كله حتى نتنبه الى مداخل الشيطان للنفس البشرية . . لكى نسد هذه المداخل . . فلا ينفذ الشيطان الى نفوسنا ،

فما هى هذه المداخل ؟!

الفصل الخامس



مداخل الشيطان
.. الى الانسان

الله سبحانه وتعالى . . أخبرنا فى القرآن الكريم . . أن هناك نزغاً للشيطان . . وهمزاً للشيطان . . ووسوسة للشيطان . . ومساً للشيطان . . فما هو الفرق . . بين هذه الأشياء كلها ؟ . . وما هى الطريقة التى يدخل بها - الشيطان ـ الى النفس البشرية ؟ . . وكيف يدفعها الى المعصية ؟ . . وكيف يخوف أولياءه ؟ . . ويسيطر عليهم بالخوف ؟ . . وكيف يهرب ويترك الانسان الساقط فى المعصية ثم يتبرأ منه بعد ذلك ؟

قبل أن نبدأ . . لابد أن نقول أن للشيطان وسوسة. وللنفس البشرية وسوسة ودفعاً إلى المعصية . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى . . أخبرنا فى القرآن الكريم . . أن النفوس تتفاوت . . هناك النفس الطيبة . . والنفس اللوامة . . والنفس الأمارة بالسوء .

فالنفس الطيبة هى التى لا تفعل الا طيباً والا خيراً ، والنفس اللوامة . . هى التى يقع صاحبها فى المعصية ، ولكنها تلومه عليها . . فيعود الى الخير مرة أخرى ، وقد يقع الإنسان فى المعصية اكثر من مرة . . والنفس الأمارة بالسوء . . هى التى اعتاد صاحبها السوء . . فلم يعد يثير فيه أى شعور بالندم والاستنكار . . بل هو يعيش مع السوء . . ويأمر بالسوء وقد اعتاده ، بحيث أصبح لا يفعل الا سيئا . . ويستمتع بذلك السوء !

هناك نوعان من الوسوسة . . وسوسة الشيطان بالنسبة للإنسان . . ووسوسة النفس له . . فكيف نفرق بين وسوسة الشيطان . . ووسوسة النفس ؟

ونقول : ان الشيطان يريد الانسان عاصيا على أى وجه . . فلا يهمه نوع المعصية . . ولكن يهمه حدوثها . . فاذا حاول أن يغرى الانسان بالمال الحرام . . ولم يجد منه استجابة . . أسرع يزين له المعصية مع النساء بارتكاب الزنا والفاحشة ، فإذا فشل فى ذلك . . أسرع يزين له معصية الخمر . . ويحاول أن يغريه بها ، فإن سد عليه كل منافذ المعصية . . أسرع . يحاول أن يفسد له الطاعة بأن يجعله مثلا يتفاخر بالصدقة فيضيع ثوابها . . أو إذا جاء موعد الصلاة . . فإنه يحاول أن يمنعه من أدائها .

ويجب ان تعلم أن هذا الاغواء لا يأتى قسرا أو قهرا . . فالشيطان ليس له سلطان القهر على الانسان . . ولكن إذا أُذِّنَ للصلاة ـ مثلا ـ فإنه يغريه بألا يقوم الى الصلاة . . وانما يؤجلها حتى ينتهى الفيلم الذى يشاهده فى التليفزيون . . فإذا انتهى الفيلم . . يذكره بأعمال يؤديها . . كأن يتصل بصديق له بالتليفون . . أو يتناول العشاء أولا . . أو يقوم بزيارة كان قد نسيها . الى غير ذلك من أفاعيل الشيطان .

فإن كان الانسان تاجرا . . فإنه يخوفه من أنه اذا قام للصلاة فستضيع منه صفقات ويضيع منه ربح . . وهكذا يظل ينقله من مشكلة الى أخرى . . حتى يضيع وقت الصلاة . . أو ينصرف عنها بالتدريج . . فان فشل فى ذلك . . فإنه يوسوس

له فى وضوئه وصلاته . . فيقول له انك لم تحسن الوضوء فأعده . . ويظل يشككه فى وضوئه . . حتى يعيده مرات ومرات . . ثم بعد ذلك يشككه فى صلاته . . حتى يعيدها مرات ومرات . . ويدخل الشك فى نفس الإنسان . . فلا يعرف كم صلى . . ولا يعرف هل أحسن الوضوء أم لا .

. . إذن فالشيطان لا يهمه نوع المعصية . . ولكن يهمه أن تتم المعصية .

أما وسوسة النفس . . فهى أن تصر على نوع معين من المعصية . . لا تريد غيره . . أى أنها تلح على صاحبها أن يرتكب معصية بذاتها ويكررها . . ولا تطالبه بمعصية أخرى .

الفرق بين الوسوستين

ولكى تعرف الفرق بين الوسوستين نقول لك .. إذا كان من يوسوس لك لا يهمه إلا أن تقع فى المعصية .. بصرف النظر عن نوعها .. فهذا هو الشيطان .. أما إذا كان هناك إصرار على معصية معينة ألفتها .. فذلك من نفسك .

إن ابليس دائما يأتى من الباب الذى يرى فيه المنهج ضعيفا .. فإذا وجد إنسانا متشددا فى ناحية معينة ، يأتى اليه من ناحية أخرى يكون فيها ضعيفا .. فإذا كان الإنسان مثلا .. متشددا فى الصلاة محافظا عليها ويؤديها فى أوقاتها .. جاءه إبليس من ناحية المال ، فيوسوس له حتى لا يخرج الزكاة ويقتر ، ويأكل أموال الناس بالباطل ، مدخلا فى نفسه الوهم بأن هذه الطريقة تزيد ماله .. وتجعله غنيا وتبعد عنه الفقر .. والحقيقة غير ذلك .. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما نقص مال من صدقة) .. لأن الصدقة هى التى تكثر المال .. وتضع بركة الله فيه ليزداد وينمو .. والمال هو مال الله .. يتركه كل منا عندما يرحل عن الدنيا .. ولكن غير المؤمن يغفل عن هذه الحقيقة .

وحينما يجد ابليس إنسانا متشدداً فى الصلاة .. محبا للمال .. يأتيه من ناحية ضعفه فيمنعه من الصدقة وأنواع

البر ، ثم يغريه بالمال الحرام ، وتبدأ المعاصى تنسج على قلبه عودا عودا . . لتغطى القلب كله وتمنعه من ذكر الله .

ولعلنا نذكر قصة ثعلبة الذى طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له الله أن يغنيه . . فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : « قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه) . . ولكن ثعلبة أصر . . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فكثرت غنمه حتى ضاقت بها المدينة . . فخرج الى خارجها . . وبدأ ثعلبة يغيب عن الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فيحضر مرة ويتخلف مرة . . حتى اقتصر على صلاة الجمعة . . ثم امتنع عن صلاة الجمعة . . ثم امتنع بعد ذلك عن دفع الزكاة . . مدعيا أنها جزية . . حتى نزل فيه قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

(الايات من ٧٥ ـ ٧٧ سورة التوبة)

وعندما نزلت هذه الاية الكريمة . . انزعج ثعلبة وأسرع يحمل مال الزكاة . . الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلم يقبله منه . . وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . .

أسرع يحمل الزكاة الى أبي بكر .. ولكن ابابكر رفض أن يقبلها منه قائلا : ما كنت أقبل ما رفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعندما جاء عهد عمر بن الخطاب .. عرض ثعلبة الزكاة على عمر .. فرفض أن يقبلها منه .. ومات ثعلبة فى عهد عمر بن الخطاب .

.. هذه قصة ترينا كيف استغل الشيطان حب المال فى قلب عبد من عباد الله .. ليخرجه عن الطاعة وعن المنهج .. وليقوده الى المعصية .. والى الكفر والعياذ بالله ، والأمثلة على ذلك كثيرة .. إنه يبحث عن نقطه ضعف فى الانسان لكى ينفذ اليه منها ، ولا يفتر عن ذلك ابدا حتى يوقعه فى حبائله ويخرجه عن منهج الله .

وهكذا تعدد صور الاغواء ، فإذا وجد ابليس العبد المؤمن متشددا فى الصلاة والزكاة . . وضعيفا من ناحية المرأة مثلا . . أتاه من ناحية هذا الضعف . . فيظل يزين له امرأة خليعة . . ويوسوس له حتى يسقط فى الزنا . . ويكون بذلك قد سقط فى الكبائر . .

فاذا كان العبد المؤمن قويا فى كل هذه النواحى . . جاءه ابليس وزين له الخمر . . أو الميسر أو مجلس السوء أو النميمة . . المهم أن ابليس يترك للأنسان نقط تشدده ويأتيه من نقط ضعفه . .

إياكم أن تظنوا أن الشيطان حين يغوى الإنسان . . يأتى له عن طريق شرٍ ينفر منه . . بل إن أبليس يلبس هذا الشر لباسا خادعا يجعله محببا إلى النفس . . سهلا عليها مرغوبا فيه .

فإذا كان إنسان يعانى ضيقا ماليا . . يأتى له ليحببه فى السرقة ويزينها له . . فهو أولا يوسوس لمن يريد أن يدفعه الى السرقة . . بأنها عملية بسيطة . . ستتم بسهولة ولن تنكشف . . كأن يقول له ادفع هذا الرجل . . الذى يملك مالا الى الأرض . . ثم تظاهر بأنك تساعده . . على النهوض

والوقوف مرة أخرى . . وفى هذه الأثناء . . التى لا يكون فيها متنبها . . اسرق حافظة نقوده . .

انه هنا يبسط له الأمر ، ويلبس الشر بلباس خادع . . يأتى مثلا يغرى إنسانا بسرقة حقيبة . . فيبين له مكان شيخ كبير يحمل حقيبة ثقيلة . . ويقول له إعرض عليه أن تحملها عنه لتعينه . . لأنه شيخ ضعيف . . وعندما تأتى لتحمل الحقيبة . . يوسوس لك . . غافل صاحبها واهرب بها .

يأتى الى انسان . . ليغريه على أن يمد يده لمال حرام . . ويكون هذا الانسان مثلا يعمل صرافا . . فيوسوس له أنه محتاج للمال الذى فى خزينته . . وأنه سيأخذه كسلفة فقط . . ويعيده عندما يتيسر حاله فى القريب العاجل . . ويمد الصراف يده الى المال الحرام . . ولكنه لا يستطيع أن يرده . .

ان الشيطان ليس أبله . . بحيث يأتى لك بصورة الشر . . على أنه شر . . ويذكرك بما ستتعرض له من العذاب فى الدنيا والآخرة . . بل إنه يتسلل لك على أساس أنه خير لك . . والشيطان يجرى فى الانسان مجرى الدم . .

ان من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه كشف لنا اسلوبه . . حتى نستطيع أن نقى أنفسنا منه . . والشيطان لا يتركك أبدا ما دمت على طاعة . . بل يحاول أن ينفذ اليك من ناحية بعد أخرى حتى يوقع بك . . إلا اذا استعذت بالله دائما واستعنت به . . فإنه لا يستطيع أن ينفذ اليك ولا يكون له عليك سلطان .

الوسوسة فى الصلاة

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طريق يستخدمه الشيطان دائما فى الايقاع بخلق الله فى المعصية . . فقال تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

(الاية ٩٠ سورة المائدة)

وهكذا فإن كل من أخذ طريق الخمر . . أو القمار أو التقرب للأصنام . . أو محاولة ضرب الاحجار أو قراءة الورق . . أو أى نوع من أنواع الدجل لمعرفة الغيب . . فإنه يرتكب عملا من الاعمال التى يزينها الشيطان للإنسان . . ليصرفه عن عبادة الله ويوقعه فى الحرام .

الله سبحانه وتعالى حذرنا من ذلك . . فقال :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ ﴾

(من الاية ٩٢ سورة المائدة)

هذا التحذير ليعلمنا الله أن الشيطان لن يدعنا ندخل فى مجال طاعة الله وطاعة الرسول . . وسيحاول جاهدا أن يمنعنا

من ذلك . . فاذا أوصدنا كل السبل . . يأتى لحظة الوضوء . . فيجعلنا ننسى هل غسلنا أيدينا أم لا . . وهل توضأنا كما ينبغى أم لا . . ثم يأتى وقت الصلاة . . فينسينا عدد الركعات . . أو عدد السجدات . . وهذا ليس علامة سيئة . . ولكنها علامة لصالحنا . . فالشيطان لا يقترب من الشيء الخرب أبدا . . فلو كانت صلاتنا غير مقبولة ما اقترب منها . . ولكن اقترابه منها . . معناه أنها مقبولة . . وأنه يريد أن يفسدها . . ولذلك ما يكاد الانسان يبدأ الصلاة . . حتى يذكره بأشياء نسيها . . ويوسوس له محاولا أن يفسد صلاته .

ومن وسوسة الشيطان أيضا . . أنه يغرينا بمعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ويقول لنا : هذا الأمر لم يرد فى القرآن فلا تطيعوه . . مع ان الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

(من الاية ٥٤ سورة النور)

وفوض الله تبارك وتعالى . . رسوله صلى الله عليه وسلم فى التشريع . . فقال :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(من الآية ٧ سورة الحشر)

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا

وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا ما فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) .

ووسائل الشيطان فى الاغواء متنوعة . . فمنها النزغ ومنها الهمز ، ومنها الوسوسة . . والمس . .

فكلمة نزغ معناها نخس . . وهى تختلف عن اللمس . . لأنه بين الناخس والمنخوس مسافة . . أما المس فهو مباشرة بلا مسافة ، ولكن لا تدرك ولا تحس بحرارة من مس . . أما اللمس فإنه إدراك حرارة الملموس . .

اذن فهناك ثلاث مراحل . . النزغ والمس واللمس . . والنزغ من الشيطان هو أن يدخل خاطرا مهيجا الى نفسك . . فيثير فيها الغضب . . ويجعلك الغضب تتصرف تصرفا أحمق . . لا يتفق مع العقل ولا من الدين .

لهذا عندما خاطب رسول الله . . صلى الله عليه وسلم ربه . . قال كيف يارب أتقى الغضب ؟ قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾

(من الآية ٢٠٠ سورة الاعراف)

ونحن لا نبحث هذه المسألة . . بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . واذا كان بعض الناس يتساءل . . هل

الشيطان يستطيع أن ينزغ رسول الله عليه الصلاة والسلام . . نقول لهم إن الآية لم تقل (إذا) . . إنما قالت (إما) ، وإما معناها انه يجوز أن يحدث ذلك ويجوز ألا يحدث . . اذن فالمسألة فرض فيه شك . . وعدم تأكيد لشيء لن يحدث . . لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

ولكن لنفرض أنه حدث . . فلماذا يحرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من لذة مواجهة الشيطان ليصفعه ويهزمه ؟ رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرين من الجن ، قالوا وإياك يا رسول الله ، فقال وإياى . . إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير) .

والشيطان ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى المسجد . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه فذغدته (خنقته) فأردت أن أربطه . الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم . فذكرت قول أخى سليمان : رب اغفرى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرده الله خاسئا . .

اذن فالمواجهة حدثت . . وكانت هزيمة الشيطان سريعة . . والله سبحانه وتعالى طلب من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به ، والاستعاذه هى طلب المعونة . . وأنت لا تطلب المعونة إلا ممن هو أقوى منك . . واقوى ممن يحاول الاعتداء عليك .

تفوق عنصر الشيطان

الشيطان له خصوصيات كثيرة .. يتفوق فيها على الانسان .. منها خفة الحركة .. وعدم قدرتنا على رؤيته .. وقدرته على التغلغل فى نفوسنا .. اذن فمطلوب منا .. أن نستعين بمن هو قوى قادر .. ولا يوجد أقوى على الشيطان من خالقه .. والله سميع عليم .. يسمع استعاذتنا .. ويعلم مما نستعيذ ..

ويجب أن نلاحظ .. أن الله عز وجل .. قد فرق فى الحديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته .. فعندما خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام قال : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .. ولكن عندما خاطب أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

(الآية ٢٠١ سورة الاعراف)

اذن فعندما تكلم الحق عن المؤمنين .. انتقل الى المس .. ولكن من رحمته أنه لم ينتقل الى مرحلة اللمس (الالتحام) ..

فالشيطان لا يتلحم بإنسان مؤمن .. وانما يكون على مسافة قريبة منه .. ماذا يحدث فى هذه الحالة ؟ .. يتذكر المؤمنون قدرة الله عز وجل على الشيطان .. ويتذكرون أن منهج الله يحميهم من الشيطان .. وعين الله لا تغفل عن عباده أبدا .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى فى حديث قدسى :

(يا عبادى إن كنتم تعتقدون انى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم ، واذا كنتم تعتقدون انى أراكم فَلِمَ جعلتمونى أهون الناظرين اليكم)

وكما قلنا فإن الشيطان .. أكثر حركة وإغواء بالنسبة للمؤمنين .. لأن العاصى عاون الشيطان بشهوات نفسه .. وأصبح يعبد شهواته .. فلم يعد الشيطان محتاجا الى جهد كبير .. ليقوده الى المعصية .. أما المؤمن الطائع .. فإنه محتاج الى جهد كبير .. ليقع فى المعصية .

قلنا ان الشيطان له نزغ .. وهمز .. ووسوسة .. ومس .. وتحدثنا عن النزغ وهو كما قلنا أن يأتيك الشيطان بخاطر .. يثير فيك الغضب فتفقد عقلك .. وترتكب ما يغضب الله فى نزوة الغضب .

أما الهمز فهو ما يلقيه اليك الشيطان .. بصوت خافت محاولا أن يدبر لك ما تفعله لتنفذ معصية ، أما الوسوسة فهى المحاولة الدائمة للشيطان .. يأتى لك من الجانب الضعيف .. محاولا أن يحبب الى نفسك الخروج عن طاعة

الله . . وهذا هو العمل الدائم للشيطان . . هذه مهمته .

ولكن ما هو المس ؟ . . الله تبارك وتعالى يقول عن الذين يأكلون الربا :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

(من الآية ٢٧٥ سورة البقرة)

فكأن الشيطان قد مس التكوين الانسانى . . مما أفسد استقامة ملكاته . . التكوين الانسانى له استقامة من الملكات . . بحيث تتسق كل حركة مع غيرها . . فإذا ما مس الشيطان أحدا من البشر . . فإن هذا الانسان الممسوس يفقد انسجام حركات جوارحه . . فتتخبط ملكاته مع بعضها البعض وتكون حركاته غير منتظمة وغير منطقية .

اذا أردنا هذا الوصف فى الآخرة . . فهى سمة تميز اهل الربا . . واذا أردناها فى الدنيا . . فهى سمة لحركة الانسان غير المنطقية . . بحيث أن الحركة تتسم بالهيستيريا . . وعندما نتأمل العالم الآن وما يحدث فيه . . نجد أن الاضطراب والحركات الهيستيرية تسوده . . كأن يدخل انسان الى مدرسة أطفال . . لا يعرفها وليس له عداء لمن فيها . . ويقتل كل الأطفال بلا سبب . . أو أن يأتى انسان الى انسان لا يعرفه . . ويلقى به تحت عجلات المترو . . كما يحدث فى نيويورك هذه الأيام .

التكامل .. وليس التكرار

والله سبحانه وتعالى . . خلق العالم على هيئة التكامل وليس التكرار . . ولذلك تنوعت الملكات والامكانيات . . وارتقى الانسان فى الكون وتقدم . . وكان المنطق يقتضى أن يعيش العالم مستريحا وهادئا . . لأن الحضارة وفرت له أكبر الثمر . . بأقل مجهود وفى أقل زمن .

ولكن هل العالم الذى نعيش فيه عالم منطقى على هذا الواقع ؟ . . لا . . اننا نجد أغنى بلاد العالم . . وأحسنها من ناحية الرقى الاقتصادى . . هى التى تمتلىء بأمراض النفس . . من قلق وغم واكتئاب . . وحزن واضطراب وشذوذ وانتحار . . ذلك أن العالم الذى نشكو منه الآن لا يسير بمنهج الله . . ولكن يسير بهوى النفس وإغواء الشيطان . . ولذلك أصيب العالم بالهيستيريا والتناقض والتخبط . . إن العالم وما يجرى فيه يبدو الآن . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

(من الاية ٢٧٥ سورة البقرة)

فلماذا لم يبحث المفكرون عن سر هذا الشقاء ؟ . . ألم يكن على المفكرين أن يسألوا أنفسهم . . لماذا نشقى كل هذا

الشقاء ؟ . . وعندنا من التقدم المادى ما يكفل سعادة البشر . . لماذا لم يبحثوا ؟ . . وكان يجب أن يفعلوا ذلك .

واذا كانت البلوى عامة كما قلنا . . فانها لا تترك دولا متخلفة . . ولا دولا متقدمة . . ان البلوى تشمل البلاد كلها . . ولذلك لابد أن يكون لها سبب مشترك . . والبحث لابد أن يقودنا الى أن العالم قد ابتعد عن منهج الله . . فأصبحت الدنيا عندنا غاية وليست وسيلة . . والمال أصبح عندنا هدفا . . وليس مجرد مسألة لازمة لحركة الحياة وعمارة الارض . . فالمال هو مال الله . . لا يملكه أحد . . وعندما نموت . . نترك مال الدنيا للدنيا . . فلماذا غيروا استخدامه ؟ . . وجعلوه غاية ؟! والجواب فى كلمة واحدة : انه البعد عن منهج الله .

ان الدنيا كلها . . لا يمكن أن تكون غاية . . أولا لأنها فترة محدودة وتنتهى ، وثانيا لأن متاعها قليل ، وثالثا لأن البقاء فيها ليس مضمونا . . فأنت لا تضمن الحياة فيها الى الساعة القادمة . .

واذا أردنا أن نحدد مهمة الشيطان فى كلمات قليلة . . فإن أساس هذه المهمة . . أن يجعلنا ننسى أن الله موجود . . وأنه يسمع ويرى . . فالانسان لا يسرق أو يزنى أو يقتل . . وقد استحضر فى ذهنه أن الله يراه . . وأنه سيعاقبه على ما يفعل . . انه لو استحضر ساعة الجريمة العقوبة عليها لما أقدم على جريمته . . ولكن الشيطان مهمته . . أن يجعلنا ننسى

أن الله موجود . . فالذى يرتكب معصية فى الخفاء . . يعتقد أنه مادام اختفى عن أعين الناس . . فان أحدا لم يره . . وينسى ان الله يسمع ويرى . . ولا تخفى عليه خافية .

وفى ختام هذا الفصل نقول : ان منهج الشيطان . . هو أن يكتشف نقط ضعف الانسان لينفذ منها . . وأنه يصور لنا المعصية فى صورة محببة الى النفس . . فيغلفها بصورة زائفة للخير . . وأن شغله الشاغل . . هو مع الطائعين لله . . لا يتركهم أبدا . . وانه ينزغ الانسان بما يثير فى نفسه الغضب . . ويهمس له بما ييسر له الشر . . ويوسوس له بما يزين له المعصية . . ويجعلها محببة الى نفسه . . فإذا تمكن من الانسان مسه . . فأفقده انسجام حركاته . . فتصبح تصرفاته نوعا من الهيستيريا والتخبط . . والشيطان له طرق اغواء متعددة والله سبحانه وتعالى يعين المؤمنين من عباده على مقاومته ومخالفته ويترك له عباده الكافرين ليزيدهم ضلالا ومعصية . . والله جل جلاله . . لا يعين كافرا به ولا يهديه .

الفصل السادس



الشيطان وجنوده

وإذا أردنا أن نكمل الصورة . . فإننا نقول : إن هناك جنودا للشيطان . . جنودا مادية من الإنس والجن . . وجنودا معنوية يستخدمها فى اضلاله للناس .

ولكن قبل أن نبدأ الحديث ، وحتى تكون الصورة واضحة فإنه لا الشيطان ولا جنوده يخرجون عن أمر الله الفعلى فى كونه . . والله سبحانه وتعالى أعطانا تجربة عملية . . بأنى أخضع الشياطين الذين هم أعلى عنصرا فى الخلق . . لبشر نبى هو سليمان عليه السلام . . وجعلهم يأتمرون بأمره ولا يستطيعون مخالفته . . واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

«من الآية ١٢ سورة سبأ»

وهكذا أخضع الله سبحانه وتعالى الجن ـ شياطينهم وصالحهم ـ ـ كما قلنا ـ لبشر مخلوق من طين . . هو سليمان عليه السلام . . ولو أراد الحق سبحانه وتعالى . . أن يخضع لنا شياطين لأخضعهم لنا . . لأن الله جل جلاله . . استجاب لدعوة سليمان حين دعاه يطلب ملكا لا يعطيه الله لأحد من بعده . . واقرأ فى القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً

﴿ حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾

«الآيات ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ سورة ص»

إذن فالحق سبحانه وتعالى . . حين أراد أن يخضع الشياطين للانسان أخضعهم رغم إرادتهم قهرا . . فلا يعتقد أحد أن الشياطين فى الأرض تقوم بما تقوم به . . رغما عن ارادة الله فى كونه . . بل كما قلنا هى من تمام مهمة الدنيا أن يكون فيها إغواء . . وفيها جهاد وإيمان . . وأن ينتصر المؤمنون بجهادهم وإيمانهم . . على اغواء الشيطان فيستحقوا الجنة .

ان الشيطان كما قلنا له جنود مادية وجنود معنوية . . ومن أكبر جنود الشيطان المعنوية الغرور . . فهو يظل يحوم حول الإنسان حتى يدخل إلى قلبه الغرور المعنوى والمادى ويحاول أن يجعله يغتر بماله . . أو بعلمه أو بقوته . . أو بأى شىء آخر . . المهم أن يغتر الإنسان . . ويحسب أنه استغنى عن الله تبارك وتعالى . . وينسب الفضل الى نفسه . . فيقع فى المعصية والكفر .



الشيطان فى بدر

ولننظر ماذا فعل الشيطان فى غزوة بدر مع الكفار ليحرضهم على قتال المؤمنين . . إن القرآن الكريم يروى لنا هذه القصة . . فيقول :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

«الآية ٤٨ سورة الأنفال»

هكذا كان دور الشيطان فى غزوة بدر . . بدأ بزرع الكبر فى قلوب الكفار . وقال لهم ستغلبون وتنتصرون على المسلمين . . إنكم الأقوياء فى العتاد . . وفى العدة . . وأنهم قلة بالنسبة لإعدادكم . . انكم ستغلبونهم حتما . . وأنا معكم سأنصركم .

وظل يدخل الكبر فى نفوس الكفار . . ويزين لهم أنهم أقوياء . . وأنهم منتصرون لا محالة . . حتى صدقوه وذهبوا ليحاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين .

وعندما وصل الكفار إلى موقع المعركة وأصبح القتال حتميا ، نظر الشيطان ورأى قوة الايمان . . وبأس المؤمنين وتأييد الله لهم . . فأسرع هاربا تاركا أولياءه الذين وعدهم بأنه لا غالب لهم . . أسرع يهرب بعيدا . . وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

« إنى أرى ما لا ترَوْن إنى أخَافُ اللهَ واللهُ شديدُ العقاب » .

هنا يتوقف بعض الناس . . ليقولوا كيف يقول الشيطان إنى أخاف الله . . واذا كان يخاف الله تبارك وتعالى . . فلماذا المعصية والاصرار على المعصية ؟ . . وماذا يخيف الشيطان . . وهو مطرود من رحمة الله . . ملعون رجيم خالد فى النار هو وكل من تبعه ؟ . .

نقول : إن الشيطان يخاف العذاب الذى ينتظره فى الآخرة . . وهذا الخوف يملأه رغم كل ما يفعله فى الدنيا . . إنه يتبرأ من كل معصية تمت على يديه . . ويحاول أن يتنصل منها ويهرب من مسئوليتها أمام الله . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى .

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

«الآية ١٦ من سورة الحشر»

وهكذا يحاول الشيطان أن يتنصل من مسئولية إغواء الإنسان بالكفر والمعصية . حتى يوم القيامة ، عندما يقف أمام الله ، يلقى اللوم كله على الإنسان . . ويحاول أن يهرب من المسئولية .

ويعطينا الحق سبحانه وتعالى صورة لهذا المشهد .. فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

«الآية ٢٢ سورة ابراهيم»

إن الشيطان .. الذى زين للناس كل المعاصى والكفر ، يأتى يوم القيامة ويتبرأ مما فعل ، ويحاول أن يلقى اللوم كله على الانسان .. ويقول إننى لم أفعل شيئا .. إلا أننى دعوتكم فاستجبتم لى .. ولولا أنكم فى أنفسكم تريدون الكفر والمعصية وتميلون إليهما ، ما كنت قادرا على أن آخذكم إلى معصية الله .. فلا تلقوا اللوم على .. ولكن ألقوه على أنفسكم ، لأنكم استمعتم إلى إغوائى .. ولم يكن لى سلطان أن أقهركم على المعصية وهذه حقيقة ، لأن الشيطان لا يملك أن يقهر إنسانا على معصية الله جل جلاله .

لا عقاب على القهر

إن من دلائل رحمة الله بعباده أنه يسقط عنهم كل عمل يتم قهرا حتى يكون الحساب عدلا . . فكل ما يقهر الانسان عليه ويفعله رغم ارادته لا يحاسب عليه يوم القيامة . . مصداقا لقول الحق سبحانه :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾

«من الآية ١٠٦ سورة النحل»

وهكذا فإن الذى يكره على إعلان الكفر ـ وقلبه مؤمن ـ لا يحاسب على ذلك . . ولقد جعل الله تبارك وتعالى . . منطقة الحساب ـ وهى ما يعتقده القلب ـ لا يمكن أن تخضع لأى إكراه . . فأنت تستطيع أن تخضع الإنسان . . ليفعل ما تريد رغما عنه . . ولكنك لا تستطيع أن تكره قلبه أبدا على أن يحبك وهو يكرهك ، ولا أن تخضع القلب قهرا ليؤمن بما لا يريد أن يؤمن به .

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الشيطان ليس له سلطان على الإنسان . . والسلطان إما أن يكون سلطان القهر . . بحيث يجعل الإنسان يعمل شيئا رغما عنه بالقوة ، وإما سلطان الحجة بحيث يقنع الإنسان بأن يفعل شيئا فيفعله بإرادته . .

والشيطان فى كلتا الحالتين لا يملك سلطان القهر ولا سلطان الحجة . . ولكنه ـ كما قلنا ـ ينفذ من جوانب الضعف فى الإنسان . . فيزين له ما تهواه نفسه حتى يقع فى المعصية . والآية الكريمة تقول :

« ما أنا بمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بمُصْرِخِيَّ » .

مصرخكم . . أى أسرع لنجدته ليزيل أسباب صراخه . . وفى هذه الحالة لابد أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يزيل أسباب الصراخ . . فإذا هاجم لص شخصا وصرخ طالبا النجدة ، فإنه لا يهب لنجدته إلا إنسان قوى يستطيع أن يتغلب على المهاجم ، ولكن إذا كان الذى سمع الصراخ شيخ ضعيف فإنه لا يستطيع إن يصرخه ، أو يزيل سبب صراخه . .

إن الشيطان يقول . . أنا لا أملك القوة لأزيل سبب صراخكم من العذاب الذى أنا ذاهب اليه معكم ، ثم يتبرأ من الذين كفروا بسبب إغوائه . . ويحاول أن يتنصل من المسئولية فيقول كما يروى لنا القرآن الكريم :

«إنى كفرت بما أشركتمون» .

إذن فأول جنود الشيطان هو الغرور ، بأن يصور للإنسان أنه يستطيع أن يحقق بذاته ما يشاء ويجعله يعبد نفسه . أو يعبد عقله ، أو يعبد الأسباب ، أو يعتقد أنه أقدر من الله سبحانه وتعالى على التشريع ، فيترك منهج الله وقوانينه ويشرع نفسه مما يسمونه القوانين الوضعية الى آخر ما نراه . .

ويجب أن نعلم أن الشيطان له جنود ماديون . . هم شياطين الإنس والجن ، وأولئك هم الذين اتبعوه واتخذوا

منهجه . . يقاتلون من أجل الباطل . . ويحاربون الحق . . ويسخرون من المؤمنين ، وهؤلاء يقول عنهم الله سبحانه وتعالى :

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

«الآية ١٩ سورة المجادلة»

حزب الشيطان هؤلاء . . يحاولون نشر الإلحاد . . ويقاومون كل دعوة للحق . . ويقفون أمام رسالات السماء . . يصدون عنها الناس . . وتصل المسألة إلى حد القتال . . مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾

«من الآية ٧٦ سورة النساء»

وهناك شياطين الجن وشياطين الإنس . . شياطين الإنس هم الذين يكون لهم الشيطان قرينا . . أى يكون مقترنا بالإنسان . . وعندما يكون الشيطان قريبا وملازما للإنسان . . يكون الإنسان قد وصل إلى قمة المعصية . . لأنه مادام الشيطان ملازما لشخص ما ، فهو لا يدفعه الى الخير أبدا . . بل يدفعه دائما الى الشر . . لأنه قرين سوء . .

وهكذا دائما قرناء السوء يساعد بعضهم بعضا ، ويقوى بعضهم قلوب بعض على اقتراف الاثم . . تراهم وقد اجتمعوا

على المعصية .. فى كل ليلة يجتمعون فى منزل أحدهم .. ومعهم الخمر والنساء ويرتكبون كل ما يغضب الله .. وتربط بينهم المعصية فى الحياة الدنيا برباط قوى متين .. ولكن فى الآخرة يتبدل الحال ، ويكونون أعداء لبعضهم البعض .

على أن الله سبحانه وتعالى .. شرح لنا ماذا يفعل الشيطان فى قرينه .. فقال كما روى لنا القرآن الكريم :

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾

«الآية ١١٩ سورة النساء»

هذا هو ما يفعله الشيطان مع قرنائه .. إنه أولا يضلهم .. أى يبعدهم عن منهج الحق .. ويفسد لهم هذا المنهج .. وقد كانت الشياطين قبل نزول القرآن تسترق السمع فى السماء على منهج الله .. فإذا علمت شيئا منهم .. أسرعوا إلى قرنائهم من الكهنة والسحرة وغيرهم .. وأبلغوه بما سمعوا من المنهج محرفا .. بعد أن يضيفوا اليه ما يجعله وسيلة للضلال .. ويخفوا منه كل ما يهدى الإنسان ، ثم يضيف الكهنة بدورهم إلى المنهج ما يحقق لهم السلطان فى الدنيا .. ويدعون أنه من عند الله .. وهو ليس من عند الله .. ليفسدوا به فى الأرض .. ويضلوا به الناس ..

وهكذا حرفت الكتب السماوية .. واضيف اليها ما لم يأمر

به الله . . وما لم ينزله . . وحذف وأخفى منها ما أمر به الله . . فأصبحت لا تفى بغرض الهداية . . ولكن عندما نزل القرآن الكريم . . منعت الشياطين من استراق السمع . . وحفظ الله القرآن من أى تغيير أو تبديل . .

هذا هو الاضلال .

أما قول الشيطان « لأُمنيّنهم » . . فإن الشيطان يزين للإنسان المعاصى . . التى يتمنى أن يفعلها . . ويصور له انها ليست معصية ولكنها خير . .

أما مسألة الأنعام وتغيير خلق الله . . فإنه من تمام الخلق هو ما خلق الله سبحانه وتعالى . . فكل خلق لله له مهمة فى الحياة . . خلق ميسرا أن يؤديها . . وتغيير هذا الخلق هو إفساد لهذه المهمة . .

ان الذين كانوا يشقون آذان الأنعام . . على أساس أنها للأصنام وخدامها . . خرجوا بخلق الله عن مهمته . . فالأنعام هى متاع للإنسان . . يحمل عليها أثقاله . . ويأكل لحومها ويأخذ جلودها وأصوافها . . ولكنها لا تفيد الأصنام شيئا . فكأن الشيطان يريد أن يخرج خلق الله عما خلقوا من أجله . . ويستعين فى ذلك بقرنائه . .

وإذا نظرنا الآن . . الى بعض التجارب التى تتم كأن يأتوا بقدم كلب ويزرعونها فى جسد ضفدعة . . أو غير ذلك مما يتم . . نقول لهم ماذا تستفيد الإنسانية . . من ضفدعة لها قدم كلب . . الضفدعة لها مهمة فى الدنيا خلقت من أجلها ، وخلقها بالطريقة التى خلقت بها هو من تمام أداء مهمتها . .

ولكنك جئت لتفسد هذه المهمة دون أن تفعل شيئا . . وكذلك كل التجارب التى تتم . . فينتج عنها إنسان مشوه . . تقول أفسدت خلق الله . . ولم تستفد شيئا . . وكذلك بالنسبة لكل العبث الذى يتم للسيطرة على العقل البشرى . . إنما يفسد مهمته فى الكون .

الله سبحانه وتعالى . . إظهارا منه جل جلاله . . لتفاهة ما يمكن أن يفعله الشيطان . . يخبرنا بأن الشيطان . . يستعمل سلاح الخوف ليستعبد الإنسان . . فيقول جل جلاله .

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

«الآية ١٧٥ سورة آل عمران»

كيف يسيطر الشيطان على الإنسان بالخوف ؟ . . إذا تصدق الإنسان خوفه الشيطان من الفقر . . وإذا أراد أن يقول كلمة حق . . خوفه الشيطان من بطش رؤسائه الظالمين . . وإذا أراد أن يقوم للصلاة . . خوفه الشيطان من أنه سيضيع منه كذا وكذا من مصالح الدنيا . . وإذا قام ليجاهد فى سبيل الله . . خوفه الشيطان من قوة الكافرين وأدخل فى نفسه . . أنه سيقتل عند بدء المعركة . . واذا أراد أن يسعى فى خير . . خوفه الشيطان فى أن ذلك سيضيع وقته ومصالحه . . وإذا أراد أن ينهى عن منكر . . خوفه الشيطان من أن ذلك سيجلب عليه الأذى . .

وهكذا كل خير يخطر على النفس . . يخوف الشيطان

الانسان من أنه سيقع عليه ضرر . . فى ماله أو نفسه . . أو أولاده أو وظيفته أو تجارته . . أو ما يهمه من أمور دنيوية . . وبهذا السلاح ـ سلاح الخوف ـ يلقى الشيطان الرعب فى نفس الانسان من ناحية الخير .

على أننا قبل أن نختم هذا الكتاب . . لابد من وقفة عن الانبياء والرسل والشيطان . . هناك حكم عام وخصوصية مع عدد من أنبياء الله ورسله . . الحكم العام هو قول الله سبحانه وتعالى

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾

«الآيتان ٥٢ و٥٣ سورة الحج»

نقول ما هى أمنية كل رسول . . أمنية كل رسول هى أن ينتشر منهجه . . ويؤمن به الناس . . وينجح فى إصلاح حركة حياتهم . . وجذبهم للإيمان . . وتركهم الكفر . . هذه هى أمنية الرسول . . ولكن هل يترك الشيطان الناس يستمعون للرسل ويؤمنون برسالاتهم ؟ . . لا إنه يقف لهم ليصدهم عن منهج الله . . ويبدأ بالمترفين الذين سيضرهم المنهج فى نفوذهم الدنيوى . . فيجعلهم دعاة له . . يقاومون الرسالات . .

ويضعون العراقيل .. ويعذبون من آمن حتى يكفر .. ويتصدون للمؤمنين بالإيذاء ..

ولكن .. هل يظل الباطل منتصرا ؟ .. لا .. إن الله تبارك وتعالى .. ينسخ ما يلقى الشيطان وينصر رسوله .. فتنجح الدعوة ويزداد عدد المؤمنين .. هذا هو معنى الآية الكريمة .. الرسول يتمنى أن ينجح فى مهمته .. ولكن الشيطان يحرض العاصين والكافرين ضده .. وتنتهى المعركة بانتصار الرسول على الشيطان .

على أنه ورد ذكر الشيطان بالنسبة للرسل فى أكثر من آية .. فى قول ايوب عليه السلام :

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾

«من الآية ٤١ سورة ص»

وقول يوسف عليه السلام :

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾

«من الآية ١٠٠ سورة يوسف»

وقول الحق جل جلاله :

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

«من الآية ٤٢ سورة يوسف»

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ -

«من الآية ٦٣ سورة الكهف»

وقول موسى ايضا عندما وكز الرجل وقتله :

﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾

«من الآية ١٥ سورة القصص»

وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر . . ونقول ان كون الانبياء معصومين . . لا يعنى أنهم ممنوعون من جهاد النفس ، بل لابد أن يبقى لهم شيء يجاهد كل منهم به نفسه . فالرسول نفس بشرية . . فيها نوازع وشهوات ، يتغلب عليها بجهاد نفسه . واذا لم يكن لنفوس الأنبياء أمور ومواقف يجاهدونها . . لكانوا ملائكة .

لقد جعلهم الله سبحانه وتعالى بشرا حتى يكونوا قدوة للمؤمنين بهم فى كفاح الشيطان ، وكفاح النفس والتغلب عليها . ولذلك سمى بعض الأنبياء بأولى العزم . والعزم هنا معناه . . العزم فى طاعة الله ومحاربة الشيطان .

أما بالنسبة لموسى عليه السلام . . فعندما ضرب الرجل وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة بعد . . ولكن كان فيه الايمان والتقوى . . فتنبه فى الحال إلى أن ما عمله هو من عمل الشيطان . . واتجه إلى الله سبحانه وتعالى . . طالبا المغفرة والتوبة . . أما قوله عليه السلام : « وما أنسانيه إلا الشيطان » . . فمعناه أن الشيطان . . حاول أن يوسوس لموسى . . فتنبه موسى عليه السلام . . وتخلص من وسوسة الشيطان .

أما بالنسبة ليوسف عليه السلام . . فإن قول الحق تبارك وتعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه » . . فهو يحمل معنيين . . أن يكون الذى خرج من السجن أنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند عزيز مصر ، فلبث يوسف فى السجن بضع سنين . . وإما أن يكون يوسف هو الذى نسي . ولكن المعنى الأقوى هو أن الشيطان أنسي ذلك الذى نجا أن يذكر يوسف عند عزيز مصر . . ويطلب منه إخراجه من السجن . . وبسبب ذلك بقى فى السجن بضع سنين . .

ويؤكد هذا أن يوسف قال للرجل «أُذْكُرْنى عند ربك» . . أى عند الملك الذى أنت ذاهب اليه . . وقل له هناك مظلوم فى السجن . . أحواله كذا وكذا . . ومن هذا نفهم أن الآية

لا تعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله تبارك وتعالى .

أما قول « ايوب عليه السلام » : « أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » . . فقد كان أيوب يشكو لربه . . أن الشيطان يوسوس له . . ويقول كيف وأنت نبى تصيبك كل هذه الابتلاءات ؟ . . كيف تمرض ويحدث لك ما حدث . . من فقد للأولاد . . ومعصية من الزوجة وغير ذلك . . ألم يكن من الواجب أن يكرمك الله سبحانه وتعالى . . لأنك نبى . . ويمنع عنك كل هذا ؟ . . ولكن أيوب عليه السلام . . الذى أتعبه وأصابه كلام الشيطان بعذاب نفسى . . لم يلتفت إليه . . وإنما اتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء . . يطلب منه أن يذهب عنه ما هو فيه . . واستجاب الله جل جلاله لدعائه .

وهكذا نرى أن ابليس . . حاول أن يقترب من أنبياء الله . . كما شارك فى تدبير خطة محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم الهجرة . . ولكن الله جل جلاله عصم الأنبياء والرسل منه . . ونصرهم عليه .

على أننا لابد أن نتعرض لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : (ان الشيطان يجرى فى الانسان مجرى الدم) ذلك أن بعض المستشرقين يحاول التشكيك فى هذا الحديث . .

ونقول لهؤلاء المشككين الذين يحاولون أن يجدوا ثغرة ينفثون من خلالها سمومهم ـ وهيهات ـ ان الدم فيه مكونات كثيرة تجرى فيه . . منها الحديد والفوسفات والكالسيوم . . وغير ذلك من المكونات التى أظهرتها لنا التحاليل الحديثة . .

بل ان الميكروبات والجراثيم ـ وهى جسم مادى ـ تخترق الجلد وتدخل الى الدم . . وتظل فيه فترة حضانتها حتى تتكاثر . . وتقوم بينها وبين كرات الدم البيضاء معارك . . والشيطان ليس مخلوقا من مادة الطين . . بل هو مخلوق من مادة اكثر شفافية . . وهو غاية فى اللطف والدقة . . فكيف نستكثر أن يخترق الجلد ويجرى فى الدم كما تجرى عشرات المواد الصلبة ونحن لا نحس بها .

نسأل الله ان يعصمنا من الزلل . . والا يجعل للشيطان على قلبنا من سبيل .

الفهرست

الفصل الأول

صفحة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

رقم الإيداع ٣٣٣٢ / ٩٨
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0718 - 4

طبع بمطابع دار أخبار اليوم